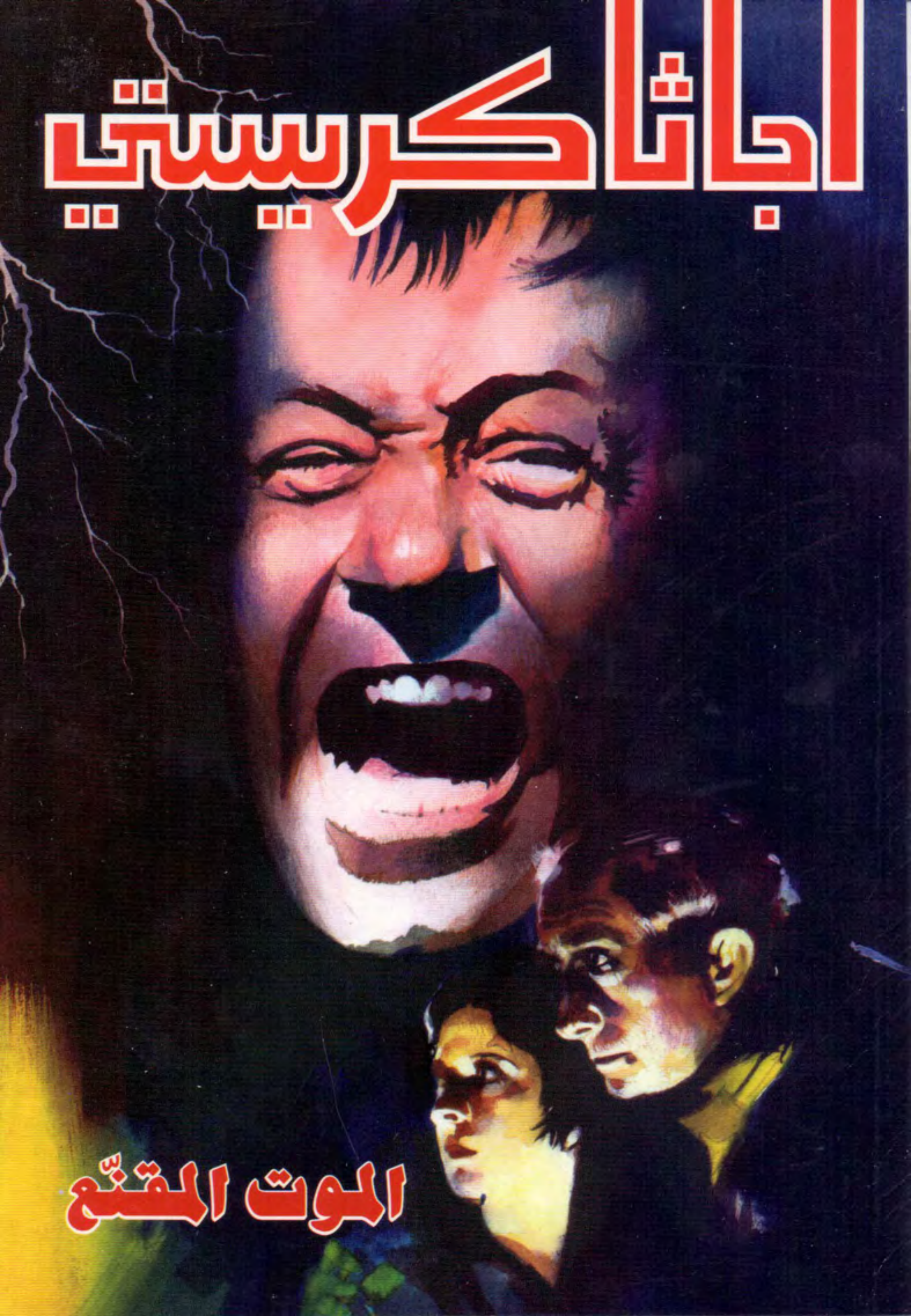


اجاثا كريستي
الموت المقنّع



أجاثا كريستي

☐ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

☐ بيع من كتبها أكثر من 650 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

☐ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال


ISBN 9953-38-205-0
9 789953 382050

الموت المقنّع

- 3 -

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

الموت المقنّع

(84)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

البريد الإلكتروني info@inter-press.org www.inter-press.org

قام بعون الله الأستادان / **علي فرحات علي - محمد أبو غازي محمود**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

دخل "**ماسترز**" مفتش البوليس السري مكتب مدير المباحث الجنائية في ذلك اليوم من صيف عام 1934 ، وما إن استقر في المقعد حتى وضع أمام المدير ملف الجرائم الثلاث التي حيرت البوليس الإنجليزي جميعا ، وقال بغير مقدمات :

– هل بعثت في طلبي يا سيدي ؟ ..

كان مدير المباحث قصير القامة وديع المظهر أشيب الشعر ، وقد أجاب عن سؤال المفتش بإيماءة من رأسه دون أن يرفع غليونه من فمه ، فاستطرد المفتش البدين الأصلع قائلا :

– بخصوص "**روجر بولاي**" ؟ ..

– نعم ..

فقال "**ماسترز**" وقد اشتد احمرار وجهه برغمه :

– الحقيقة أننا نواجه مجرما خطيرا ..

فرفع مدير المباحث غليونه وتنحنح قائلا :

– لن يكون في إمكاننا أن نمسه بشيء ما لم يقم الدليل على أنه هو قاتل أولئك النساء الثلاث .

إذن ماذا فعل بالجثث ؟ .. أين هو الدليل على القتل الفعلي ؟

خيم الصمت برهة .. ثم وقف المفتش "**ماسترز**" عندما اشتدت حرارة الغرفة عليه .. وما لبث مدير المباحث أن أردف قائلا وهو يلمس المفكرة الموضوعة أمامه :

– إن أسماء الفيلات الثلاث المدرجة هنا ثبت أن "**روجر بولاي**" أقام فيها .. وقد ظل رجالنا يحفرون الأرض حولها طيلة أشهر وينقبون وينبشون ، دون جدوى ! ..

– هذا معروف لي يا سيدي .. لكن ..

– لم نجد حتى ولا بقعة دم أو أقل دليل يثبت وقوع القتل ثم رفع المدير عينيه الباهتتين ومضى يقول :

– لنفرض أن "**بولاي**" ادعى أن النساء الثلاث لا يزلن على قيد الحياة ، وأنهن تركنه بمحض اختيارهن .

– لكن إذا لم يظهرن للناس ؟ ..

– ليس "**بولاي**" مطالبا بإثبات وجود النساء على قيد الحياة .. علينا نحن إثبات موتهن ، إذا استطعنا ..

– إنه تزوجهن يا سيدي .. بوسعنا محاكمته بتهمة تعدد الزوجات .

– وما هي أقصى العقوبة ؟ .. خمس سنوات ! .. لا يا "**ماسترز**" ليس هذا ما نريده للسيد "**بولاي**" .. ثم أين هو الآن هل اقتفيت أثره ؟ ..

كان هذا السؤال هو أشد ما يضايق البوليس السري وقد شعر بالحرارة تخنقه ، وقال أخيرا :

– لا يا سيدي .. لم أقتف آثاره ، وإن أردت رأيي صريحا قلت : إن الأمل في النجاح ضعيف ، ما دامت أوصافه غير معروفة لنا بشكل قاطع ..

ولكن مدير المباحث فاجأ "**ماسترز**" قائلا :

– أعتقد أني أعرف الآن مكانه .. ومن أجل هذا استدعيتك . إنه كرر فعلته من جديد ..

ساد الصمت برهة .. ثم قال "**ماسترز**" :

– تعني أنه .. قتل امرأة أخرى ؟ ..

– هذا ما أخشاه .. نعم .

– وأين ؟ ..

– قرب "**توركاي**" .. إن رئيس نقطة البوليس اتصل بنا تليفونيا منذ نحو عشر دقائق .. إن الفاعل هو "**بولاي**" ما في ذلك شك .. فقد تخلص من الجثة مرة أخرى ..

وأعقب ذلك بيان الحلقة الأخيرة في سلسلة الأحداث المروعة التي استطاع فيها القاتل المجهول أن يفلت من العدالة مرة أخرى بهدوء أعصابه البالغ ..

وتفصيل ذلك أن السيد والسيدة "**بندكت**" استأجرا في أواخر شهر حزيران (يونيو) فيلا مفروشة قرب مصيف "**توركاي**" .. وكان يبدو أنهما حديثا عهد بالزواج .. وكانت العروس تتحاشى الظهور أمام الناس ، وكل ما عرف عنها أنها كانت مشغوفة بلبس الحلي والجواهر .

ولم يكن لدى البوليس ما يوجب الاشتباه في أمر القادمين لولا أن أحد رجال الشرطة استرعى نظره أن اسم الرجل هو "**ر . بندكت**" و"**بندكت**" هو الاسم الذي انتحله "**بولاي**" في إحدى جرائمه ، فنقل هذا الاشتباه إلى رئيسه، وانتهى الأمر بأن أصدر مفتش البوليس أمرا بمراقبة – الفيلا ليلا – مراقبة سرية .

وقد شوهدت السيدة "**بندكت**" آخر مرة عصر اليوم السادس من شهر تموز (يوليو) عام 1934 وهي تتناول الشاي مع زوجها في حديقة صغيرة تظللها أشجار التفاح .

وفي الصباح المبكر من يوم 7 تموز (يوليو) فتح باب الفيلا الأمامي وخرج "**روجر بولاي**" – المتنكر باسم "**ر . بندكت**" ، وتقدم وهو يرتدي قبعة ومعطفا واقيا رغم صفاء الطقس ، إلى حيث كان الشرطي "**هاريس**" مختبئا خلف الأشجار بعد مراقبة دامت طول الليل ، وابتدر الشرطي بتحية الصباح ، ثم أخبره أنه ذاهب إلى أقرب محل لبيع السجائر والصحف ، وسار في طريقه .. لكنه لم يذهب إلى ذلك المحل ، بل استقل قطار الساعة التاسعة والربع إلى

"**لندن**" . واختفى في غمار الملايين .

وبعد ساعتين عثر البوليس في الفيلا الساكنة على بعض الملابس – ملابسه وملابسها – التي اضطر "**بولاي**" أن يتركها خلفه . كما عثروا على بعض أدوات الزينة وقد رفعت عنها بصمات الأصابع بعناية ، مثل غيرها من الأشياء الأخرى.. لكنهم لم يعثروا على أية جواهر .. ولم يعثروا على الزوجة .

ثم انقضت عدة أيام والمفتش "**ماسترز**" الذي تولى تحقيق القضية دائب البحث والتحري ، قبلما يوفق إلى العثور على شاهد يمكن لأول مرة أن يجذب "**روجر بولاي**" إلى ظل المشنقة .

وتفصيل ذلك أنه كان يوجد في شارع "**منزيس**" في "**توركاي**" مكتب صغير للكتابة على الآلة الكاتبة تملكه الآنسة "**ملدريد ليونز**" ، وفي صباح 26 تموز (يوليو) اتصل "**روجر بولاي**" بهذا المكتب من كشك التليفون العمومي، لعدم وجود تليفون في الفيلا الصغيرة وسأل الآنسة "**ليونز**" إن كان يمكنها الحضور لكتابة بعض الرسائل .

وقفت الآنسة "**ليونز**" بعد ذلك في مكتبها الصغير منزعجة بين رجال البوليس، وراحت تسرد معلوماتها قائلة :

– لقد ذهبت إليه راكبة دراجتي عصر ذلك اليوم ، فأملى علي ست رسائل . وحملتها إلى المكتب لكتابتها على الآلة الكاتبة وكانت كلها رسائل أعمال .. ولكني لم أسجل عناوين الرسائل ..

– ألا تتذكرين مضمون الرسائل ؟

– لا .. لا أتذكر . كانت مجرد رسائل أعمال .

– استمري يا آنسة ..

– كان جلوسنا في الفيلا في غرفة الجلوس ، وكانت ستائر النوافذ شبه مسدلة .

وكـان يجلس في الظل .. وكـانت السـيـدة" **بندكت**" لا تنقطع عن الدخـول والخروج لتقبيله .. كان الموقف مربكا محرجا في الواقع .. ولما هممت بالانصراف طلب مني أن أترك الرسائل مفتوحة ، لكي يتولى إرسالها بنفسه إلى البريد .

وبعد ذلك نقد "**روجر بولاي**" الكاتبة أجرها ، ورقة مالية رديئة من فئة عشرة شلنات .. ولكن تأثير هذه الورقة كان له وقع سيئ في نفس الفتاة حمراء الشعر التي وقفت أمام آلتها الكاتبة تشد مفاتيحها وكأنما تستمد منها أسباب التجلد والشجاعة ، إذ راحت تقول :

– لقـد أهاجني هذا العـمل . نعم إني لم أكتـشف رداءة الورقـة المالية إلا بعـد أن ذهبت إلى بار "**استبلاناد**" في التاسعة والنصف من تلك الليلة . وعند ذلك تملكني الغضب وركـبت دراجتي على الفـور لكي أذهب إليه وأخـبره برأيي فيـما فعل .. كـانت تلك الليـلة حـارة، وضوء القـمر السـاطع يغـمر طرقات البلدة. وما إن وصلت الآنسة "**ليونز**" فوق دراجتها إلى جوار الفيلا حتى وجدت شجاعتها قد تبخرت .

ووجدت الفتـاة حـلا وسطا لموقفهـا الغريب هو أن تسير في الممشى – بعد أن تركت دراجتها عند البوابة – وأن تضغط على الجرس الكهربي .. لكنها لم تجد جوابا .. ولم يكـن في هذا ما يوجب الدهشـة لأن الجرس كـان معطلا دائمـا .. ولكن الآنسة "**ليونز**" تملكهـا الغضب من جديد عندما لمحت ضوءا ينبعث من خلال ستائر غير محكمة في نافذة إلى يمين الباب وكان الضوء صادرا من غرفة الجلوس .. ولـم تتـمـالك "**ملدريد ليـونز**" نفـسـهـا بدافع الغـضب والفـضول الطبيعي في مثل هذا الموقف إلا أن سارت على أصابع قدميها وأخذت تنظر إلى الداخل ..

عند ذلك جمدت الفتاة مكانها مشلولة ..

لـم يكـن يـضيء الغـرفة سـوى مـصبـاح زيتي مظلل بغطاء أصفـر ، مـدلى من

السقف .. وكان ضوء المصباح خافتا ..

وفوق فراش بجوار أحد الجدران تمدد جثمان السيدة "**بندكت**" .. وكانت ملابسها مشوشة ، وجوربها ممزقا ، وفردة من حذائها على الأرض ..

أما هي فكانت جثة هامدة .. ولا شك أنها لقيت حتفها خنقا ، إذ كان وجهها المنتفخ محتقنا ، ونوع من البقع حول رقبتها .. وفي وسط الغرفة وقف "**روجر بولاي**" يتنفس بجهد ويشعل سيجارة ..

لقد ذعرت الآنسة "**ليونز**" وتحولت كالسائر في نومه وعادت أدراجها بهدوء إلى الدراجة .. وسارت أول الأمر الهوينى ، ولم تطلق العنان لقدميها إلا بعد أن ابتعدت عن الفيلا بمسافة كافية .. كانت مصممة ألا تبوح بشيء مما رأت، لئلا يزج بها في الكارثة . لولا أن جاء الشرطيان المعهود إليهما بمراقبة الفيلا لسؤالها عن سبب ذهابها إلى هناك تلك الليلة ...

لم تتمالك "**ملدريد ليونز**" نفسها بعد هذه الاعترافات وانخرطت في نوبة من البكاء والهيستيريا ، حتى راح المفتش "**ماسترز**" يربت بيده على منكبها مسريا ملاطفا ، وإن كان هذا لم يمنعه من أن يمسك التليفون باليد الأخرى ويطلب من "الترنك" توصيله بإدارة المباحث الجنائية في "**لندن**" ، حيث أخذ يخاطب المدير قائلا :

– لقد توصلنا إليه ! .. أمامنا الدليل الآن على وقوع القتل . إن هذه الشاهدة هي سبيلنا إليه !

فقال المدير :

– أواثق أنت مما تقول ؟ .. علينا أن نقبض عليه أولا . فهل ترى مصاعب في هذا الصدد ؟

– لا يا سيدي .. كل ما يقتضينا الأمر هو أن ندع جانبا السرية التي التزمناها

حتى الآن ، وأن يصدر أمر عام بالجد في اعتقاله . .

– ألا تحب أن تستشير صديقك السيد "**هنري مريفال**" ، العالم الجنائي ، في الموضوع ؟

– لا لزوم لمضايقة الرجل العجوز في هذا . . كل ما أريد هو صدور الأمر بالعمل . . شكرا لك يا سيدي . . ثق أننا سنقتنص هذا الثعلب في خلال أسبوعين ، مهما يكن مكانه !

لكن "**ماسترز**" كان مخطئا . .

لقد وقعت هذه الجرائم منذ أحد عشر عاما . . وفيما بين ذلك قامت الحرب العالمية الثانية بما اقترن بها من الموت والخراب والدمار . . لكنهم لم يوفقوا إلى اعتقال "**روجر بولاي**" . . فإن ثقته بنفسه لم تفارقه لحظة . . وما كان لهم أن يعتقلوه الآن بعد كل ذلك الزمن . . فهو الآن في أمان . .

- 2 -

كانت ليلة في مستهل شهر أيلول (سبتمبر) وقد أضيئت مصابيح الشوارع في "**لندن**" من جديد إيذانا بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، وسار المحامي الشاب "**دنيس فوستر**" بخفة ونشاط في شارع "**تشيرنج كروس**" ووجهته مسرح غرناطة تلبية لدعوة صديقته الآنسة "**بيريل وست**" مديرة الإخراج ، لكي ينتقلا بعد ذلك إلى أحد المطاعم لتناول طعام العشاء . .

ووجد "**بيريل**" تنتظره لدى باب المسرح في شيء من اللهفة والقلق . . وكانت زرقاء العينين ، ناصعة البشرة ، تنم حركات يديها وعينيها وثنيات جسدها النحيل عن حيوية فياضة . . وما كادت تبصر "**دنيس**" حتى هتفت مرحبة به وقالت :

– إني دعوتك لحاجتي إلى مساعدتك .. أريد أن تكلم "**بروس**" ، لأنه يقدر كلامك .

– حسنا .. ما المشكلة ؟

ترددت "**بيريل**" برهة ، ثم أجابت :

– تعلم بالتأكيد أن آخر موعد لتمثيل المسرحية الحالية هو غدا .. وسأسافر إلى الولايات المتحدة مساء غد للإشراف على حفل عرض أولي في "**برودواي**"، لكني لن أغيب أكثر من ثلاثة أسابيع .. وينوي "**بروس**" أن يسافر في إجازة طويلة إلى أحد المصايف النائية ، ولذلك أرجو أن تكلمه الآن قبل فوات الوقت.. إن المسألة متعلقة بالمسرحية الجديدة التي يعتزم تمثيلها بعد فترة الراحة والاستجمام ..

ثم نظرت إلى ساعة يدها وأردفت فجأة :

– سينزل الستار بعد عشر دقائق .. هلا دخلنا المسرح ؟.

وهبطا درجات حديدية مكسوة باللباد أفضت بهما إلى الجانب الخلفي للمسرح حيث كان "**بروس رانسوم**" منهمكا في أداء دوره بتلك الإجادة المأثورة عنه .. ولكن "**دنيس**" التفت إلى الفتاة وقال همسا :

– كنت تتكلمين يا "**بيريل**" عن تلك المسرحية الجديدة التي ينوي "**بروس**" تمثيلها ؟ ..

– يعلم الله أني لا أمانع في أن يمثل "**بروس**" دور القاتل .

– دور القاتل ؟

– نعم . والحقيقة أن مثل هذا الدور الجديد فيه تغيير وتجديد بالنسبة للأدوار الغرامية التي اعتاد أن يمثلها .

– وأنت لا تحبين فكرة المسرحية الجديدة ؟

– بالعكس يا "**دنيس**" . إن فكرتها رائعة . ولهذا السبب أحب أن ..

وارتفعت في هذه اللحظة همسات الاستنكار من صفوف النظارة احتجاجا على التشويش المنبعث من حديث الاثنين فانسحبا في سكون إلى الممشى الخلفي ، وقادته "**بيريل**" إلى غرفة "**بروس رانسوم**" التي كانت خاوية إلا من خادمه "توبي" الذي كان خارجا لإعداد كأس من الشراب المنعش للممثل الكبير، وقالت "**بيريل**" لصديقها :

– اجلس يا "**دنيس**" .. أريد أن تكون مستعدا لمساندتي في المهمة التي أمامنا ..

وما كاد "**دنيس**" يستقر في المقعد الجلدي الوثير حتى قال لها :

– كنت تتكلمين عن قاتل .. أهي مسرحية بوليسية ؟ .

– لا . لا .. إنها مبنية على قضية "**روجر بولاي**" الواقعية .. هل سمعت عن "**روجر بولاي**" ؟

– لا أظنك تقصدين أن "**بروس**" سيمثل دور "**روجر بولاي**" ؟

– بل هي الحقيقة .. ولم لا ؟ .

– لا شيء ، سوى أنها قضية بشعة .. تعلمين بالتأكيد يا "**بيريل**" أن "**بولاي**" على قيد الحياة في الغالب ..

– وأن البوليس ما زال يبحث عنه ، وسيقدم عنقه إلى المشنقة حينما يعثر عليه .. لا تخف .. إنه لن يرفع ضدنا قضية قذف !

– بالتأكيد لا .. وكيف تحلون لغز المسرحية ؟

– أي لغز ؟

– يا عزيزتي "**بيريل**" .. إن "**روجر بولاي**" قتل أربع نساء على الأقل ..

– فظيع ! .. إن جمهور المسرح سيلتهم مثل هذه المسرحية التهاما !

فلم يعبأ "**دنيس**" بكلامها ، واسترسل يقول :

– إن "**بولاي**" تخصص في قتل النساء اللائي لا أقارب لهن .. كانت ضحيته الأولى ابنة قسيس ، والثانية هاوية موسيقى ، والثالثة قارئة كف ، والرابعة .. أما هذه فلم يستطع البوليس أن يعرف شخصيتها ، ولا أي شيء عنها ..

– "**دنيس**" ! .. كيف تسنى لك بالله أن تعرف كل هذا ؟

– من المصادفات أن مفتش بوليس اسكتلنديارد الذي عهد إليه بهذه القضية صديق لي .. والمشكلة يا "**بيريل**" هي أن "**بولاي**" قتل أولئك النساء ، وتخلص من الجثث بطريقة تبدو وكأنها السحر بعينه ! .. ثم إن صديقي المفتش "**ماسترز**" لا يريد أن يقول كل شيء عن الجريمة الأخيرة وكل ما فهمته هو أن هناك "شاهدا" رأى بعينيه الضحية الرابعة عقب مصرعها ..

فقالت "**بيريل**" في شيء من القلق :

– أنا .. لم أكن أعرف هذه المعلومات .. ومع ذلك فهذا شيء لا أهميه له .. لو أن "**بروس**" قبل تغيير تلك النهاية المستحيلة فقط للمسرحية لتيسر لي إخراجها بصورة طيبة .. إن كل ما يهم يا "**دنيس**" هو شخصية "**بولاي**" نفسه .. إن هذا هو أهم ما يشغلني في الواقع .. ترى ما كنه ذلك الرجل حقا؟..

– لا شك أنه مخلوق شاذ غير طبيعي ..

فقالت "**بيريل**" بإصرار :

– لن يكون لي ضلع في هذه المسرحية إذا أصر "**بروس**" على إبقاء تلك الخاتمة المروعة .. ولكنني أريد أن أرى "**بولاي**" .. أريد أن أفهمه ! ..

قلت لك يا "**دنيس**" إنه لا يهمني كيف تخلص من جثث ضحاياه .. ومازلت عند رأيي هذا .. لأن هيكل المسرحية ليس هو ما حدث وهو يرتكب جرائمه .. بل ما حدث له بعد ذلك ! ..

- 3 -

في هذه اللحظة ارتفع عن بعد صوت تصفيق متصل تردد صداه في أروقة المسرح وكان إيذانا بإنزال الستار .. ولكن الاثنين لم يلقيا بالهما إلى ذلك ، وقال "**دنيس**" :

– وبهذه المناسبة ، من هو مؤلف المسرحية ؟ ..

– إن المؤلف شخص لم أسمع باسمه قط .. فالمسرحية جاءت إلى "**بروس**" من حيث لا يحتسب ..

– ماذا تعنين ؟ ..

– الحقيقة أن مئات من الناس يرسلون إلى "**بروس**" مسرحيات يكتبونها ، وهو عادة يستأجر من يقرأ هذه المسرحيات ويتصرف فيها .. ولكنه يخرج على هذه القاعدة أحيانا وينتقي إحداها ليطلع عليها بنفسه .. هذا ما حدث في هذه المناسبة .. وكانت النتيجة أنه اتصل بي تليفونيا في الساعة الواحدة صباحا وأخبرني أنه وجد المسرحية المنشودة .

– والنتيجة ؟ ..

– إن "**بروس**" كتب للمؤلف .. أو هذا ما أرجو أن يكون قد فعله ، لأنه مهمل كثيرا من هذه الناحية .. ولكن المسرحية رغم كل شيء تتضمن فكرة مروعة ..

– أهلا بك يا "**دنيس**" ! .

كان المتكلم هو "**بروس رانسوم**" الذي وقف بباب الغرفة .. كان "**بروس رانسوم**" فارع العود ، عريض المنكبين ، مستدير الوجه ، بارز الوجنتين ، ناعم النظرات ، منفرج الفم عن ابتسامة وانية ..

وقد وقف "**بروس**" برهة في مدخل الغرفة يستحث خادمه الخاص لإحضار

الشراب ، ثم قال للجالسين في الغرفة وهو يفرك كفيه :

– أرجو أن تكونوا قد حجزتم لنا مائدة في المطعم للعشاء،

بديع .. بوسعي أن آكل مائدة كاملة ! .. لن أؤخركم أكثر من خمس دقائق..

وشرع يخلع زيه التمثيلي بمساعدة الخادم .. ثم جلس إلى مائدة الزينة وصب لنفسه كأسا من الشراب وأشعل سيجارة ، وبعد أن رشف جرعة دس يده في إناء المعجون لإزالة الأصباغ عن وجهه .. وقالت "**بيريل**" أخيرا تخاطب الممثل بعد طول صمت :

– إني استدعيت "**دنيس**" لكي يتمكن من إقناعك ، إذا عجزت أنا عن ذلك..

اسمع يا "**بروس**" .. لابد أن تغير نهاية هذه المسرحية الجديدة ..

– هل لابد من العودة إلى هذا الموضوع يا "**بيريل**" ؟

– نعم .. وإني أحتكم إلى "**دنيس**" ! ..

فقال "**دنيس**" راضيا وقد طاب له أن يقوم بالحكم :

– لكنك نسيت أني لم أقف حتى الآن على تفاصيل المسرحية ! ..

فقالت "**بيريل**" :

– سأحكيها لك .. بعد أن يرتكب "**بولاي**" جريمته الرابعة ..

وهنا قاطعها "**بروس رانسوم**" قائلا :

– مهلا .. هل سمع "**دنيس**" شيئا عن هذا المخلوق ؟ ..

– إنه يعرف كل شيء عن الموضوع .. بل هو يعرف مفتش البوليس السري الذي ..

فاستطرد الممثل يقول مركزا نظراته على المرآة ، وكأنه لم يسمع كلام الفتاة :

– إن "**بولاي**" شخصية بديعة .. ثم هناك تلك المرأة التي راحت تنظر خلسة من خلال ستائر النافذة ، حيث شاهدت الضحية مخنوقة فوق الفراش ، بينما

أخذ "**بولاي**" يشعل سيجارته تحت ضوء المصباح ! .. هذه هي الحبكة المسرحية التي يمكن أن نعول عليها ..

ولكن "**دنيس**" استحث الفتاة على الكلام قائلا :

– احكي يا "**بيريل**" ..

– لا بأس .. بعد أن يرتكب "**بولاي**" جريمته الرابعة يتملكه الفزع ويميل إلى التوبة ويحاول أن يسلك سواء السبيل . ولهذا الغرض يذهب إلى قرية هادئة وينزل في فندق ريفي . وهناك يقع في الحب ..

وأنا أعني بهذا أنه يحب حبا حقيقيا هذه المرة ، وتكون حبيبته فتاة شقراء ساذجة فيها كل مقومات الصلاح والبراءة وأبواها من أعيان القرية ..

وتسير الأحداث كلها في المسرحية كما تسير في أية مسرحية فكاهية غرامية معتادة .. ثم لا يلبث المشاهد أن يحس من بعض الفلتات هنا وهناك أن ثمة شيئا غير عادي .. وإذا قصة الجرائم الماضية تفوح رائحتها ، ويساعد على نشرها وإذاعتها فضوليو القرية .. شيئا فشيئا يظهر أن الغريب الوافد على القرية – ذلك الرجل السمح الوديع – هو في الواقع قاتل لا يمكن أن ينصلح ويتوب إلا كما تتوب القطة عن أكل الفئران ..

وأول شخص في القرية يفطن إلى الحقيقة هو والد الفتاة .. وأما الفتاة فإنها ترفض أن تصدق بالتأكيد ، وإن رأينا "**بولاي**" يكاد يفقد صوابه مرة ويوشك أن يقتلها .. وأشهد للمؤلف بأنه حبك الأزمة وأثار جوا مشحونا بالفزع بحيث إذا أجاد الممثل هذا الدور جعل المتفرجين يكادون يصرخون من الرعب ..

فإذا كان الفصل الثالث استطاع "**بولاي**" إقناع الفتاة بالهرب معه ، ولكن والد الفتاة يفاجئهما ، ويكون مشهدا عاصفا يثور فيه الوالد ويحاول إطلاق النار على "**بولاي**" .. وعند ذلك .. أواه ! ..

بسطت "**بيريل**" يديها بحركة يائسة ، وأردفت بلهجة مؤثرة :

ثم يتبين في النهاية أن القاتل المزعوم ليس "**بولاي**" ولا يمت له بأدنى صلة.

– ليس "**بولاي**" ! ..

– كلا .. ولكنه مؤلف روائي شهير يبحث عن مادة للكتابة ، فزعم أنه "**بولاي**" ، ليعرف رد الفعل في النفوس .. والآن ، هل من الممكن أن يقع شيء كهذا ؟ ..

فتناول "**بروس**" قطعة قماش أخذ يزيل بها المعجون عن وجهه وقال :

– لا بد أن يكون للمسرحية نهاية سعيدة ..

– إنني أخالفك في الرأي يا "**بروس**" ..

وما السبب ؟ ..

– صبرا بالله يا "**بروس**" .. إن الفتاة ترتمي باكية بين ذراعيه ! والوالد يصافحه والدموع تترقرق في عينيه ، ويعلن أنه تجاوز وصفح . ويبارك الاثنين! وتهرول الأم بدورها لكي تفعل مثل هذا .. فقل لي بربك يا "**بروس**" ، هل يمكن أن يحدث شيء كهذا في عالم الواقع ؟ .

– ولم لا ؟ .. وما الذي تنتظرين أن يحدث ؟

فأجابت "**بيريل**" بإيجاز :

– إن والد الفتاة ما كان ليتردد في إطلاق النار عليه ! والفتاة ما كانت لتكلمه أبدا بعد ذلك ! والأسرة كانت تسعى لطرده من القرية كلها ! .. وإلا ، فهل يقبل أي إنسان أن يكون مجرد أداة للتجارب في عملية كهذه؟..

– نعم .. هناك من يقبل هذا ويغتفره ، إزاء مثل هذا المؤلف القصصي الشهير.

– إن هذا لن يكون يا "**بروس**" ! إن شيئا كهذا لا يحدث أبداً ! ..

فنهض "**بروس**" فجأة وألقى قطعة القماش من يده .. بيد أنه لم يبادر فتاته بالغضب ، بل قال لها بابتسامته الجذابة :

– لا داعي للغضب يا فتاتي .. أعترف أن المسرحية بها أخطاء ..

– نعم .. ومن الجلي أن المؤلف يعرف ذلك ..

فقال وقد لمعت عيناه ببريق خاطف :

– أحقا ؟ وما الذي يجعلك تظنين ذلك ؟ ..

– إن بعض صفحات المسرحية مكتوبة على آلة كاتبة مختلفة .. وقد تكرر هذا في الفصل الأخير .. بإمكاني أن أدلك على المواضع التي كان فيها مترددا لم يستقر عند فكرة معينة .. ثم .. أين نسخة المسرحية يا "**بروس**" ؟ .

– إني أرسلتها إلى مكتب "**إيتيل ويتمان**" لنسخ عدة صور وأخشى أن تستغرق هذه العملية وقتا طويلا .

– هل كتبت إلى مؤلف المسرحية يا "**بروس**" ؟

– نعم ، بالتأكيد لكني لم أتلق منه أي رد .

– منذ ثلاثة أسابيع . دون أن تتلقى أي رد ؟ .

– هو ذلك .

– لكن لا يمكن يا "**بروس**" أن تفكر في إخراج المسرحية قبل الحصول على موافقة المؤلف وتوقيع العقد اللازم !

فهز "**بروس**" رأسه وقال ضاحكا :

– ومن قال يا فتاتي إن إخراجها سيتم ؟ . إنني متعب إلى أقصى حد ، وأحتاج إلى راحة طويلة .. سأذهب أولا في إجازة طويلة ، ثم .. يا إلهي ! .. ماذا دهاك الآن يا فتاتي ؟

ذلك أن "**بيريل**" بدت أمامه منفرجة الثغر لامعة العينين كمن هبط عليها

الإلهام فجأة ، وهتفت وهي تومئ إليه بأصبعها :

– اسمع يا "**بروس**" . لماذا لا تكون أنت "**روجر بولاي**" ؟

– وكيف ذلك ؟

فأخذت الفتاة أولا نفسين من سيجارتها ، وفي النهاية أجابت قائلة :

– قلت : إن نهاية المسرحية واهية .. وسأبرهن لك على ذلك ! .. نعم . سأبرهن لك ! .

- 4 -

خيم صمت طويل لم يستطع "**دنيس**" من خلاله أن ينبس بكلمة ، أما "**بروس**" فقد قال في النهاية وهو يحملق إلى الفتاة مشدوها :

– لست أفهم ما ترمين إليه ! .

– من المقرر أن تبدأ إجازتك يوم السبت ، بعد افتتاح الموسم .. وستذهب إلى مصيف صغير على الساحل الشرقي .. أليس كذلك ؟

– بلى هو ما تقولين ..

– بل إنك حجزت فعلا مكانا لنزولك في الفندق ... تحت اسم مستعار ؟ ..

– نعم .. إني .. رباه ! ماذا تقصدين ؟

فأومأت "**بيريل**" برأسها إيجابا وراحت تقول :

– إني أتحداك أن تفعل ما سوف يفعله بطل المسرحية . إنه مؤلف روائي شهير.. وأنت ممثل شهير .. ولكن الفكرة ستبقى واحدة . أرأيت ؟

– نعم .. رأيت .

– اذهب إلى ذلك المكان .. ما اسمه ؟

– "**أولد بريدج**" ، في مقاطعة "**سفولك**" ..

– اذهب إلى هناك واستقر في الفندق ، ثم ابدأ بعد ذلك في إلقاء التلميحات وإثارة الشبهات .. اتبع نص المسرحية اعمل شيئا فشيئا على تسميم جو القرية بفكرة أنك أنت "**روجر بولاي**" الحقيقي ، وقد عدت للانقضاض من جديد .

وفي خلال ذلك تحبب إلى فتاة من أهل القرية ، ولن يكون شيء كهذا بالأمر العسير عليك ، أليس كذلك ؟ !

والأفضل أن تكون الفتاة ابنة شخصية بارزة أو معروفة في القرية .. وعندما يبلغ الارتياع من نفوس الجميع مداه .. كم تقدر أنك ستبقى في "**أولد بريدج**" ؟

فأجاب "**بروس**" بلهجة آلية :

– شهر .. إنني مرتبط بموعد إذاعي في تشرين الأول (أكتوبر) ، ولكن بإمكاني أن أبقى هناك بقية الفترة .

– لا بأس .. وأنا سأعود من رحلتي إلى "**أمريكا**" بعد ثلاثة أسابيع .. وبإمكانك في خلال هذه المدة أن تصنع المستحيل إذا أجدت تمثيل دورك .. وفي النهاية تلقي قنبلتك ، على نحو ما هو وارد في الفصل الثالث من المسرحية .. قل لهم إنك لست القاتل المرعب ، بل "**بروس رانسوم**" الممثل المحبوب يستمد دوره من صميم الواقع ، ثم انظر بعد ذلك ماذا يقولون ...

وانعقد صمت طويل .. وأخيرا غمغم "**بروس**" قائلا :

– إن شيئا كهذا لم يخطر ببالي . لكن لنفرض أن أحدا عرفني ؟ .

– هذا غير محتمل يا "**بروس**" .. إن شكلك يبدو مختلفا وأنت بعيد عن خشبة المسرح .. وقد عرفتك تكره العمل في السينما ، والسينما وحدها هي التي تجعل شكل الإنسان معروفا في مثل قرية بمقاطعة "**سفولك**" .

ولما رأت الفتاة تردد الممثل قالت لـ"**دنيس**" :

– ألا تنوي يا "**دنيس**" أن تتدخل في الموضوع ؟

فقال "**دنيس**" وهو يتأملهما بهدوء :

– لا .. لن أتدخل .. بل على العكس ، إذا أصـر "**بروس**" على المضي في خطته إلى النهاية ، فربما كان بإمكاني أن أمد له يد المساعدة . . .

– لا يهم ذلك في الوقت الحالي . سنناقشه فيما بعد .. أما الآن فالوقت يمر، ويحسن بنا أن نقصد إلى مطعم "**إيفي**" قبل أن ينفد الطعام .

وفي هذه اللحظة ذاتها سمعت طرقة حذرة على باب الغرفة ، فأسرع "**توبي**" خادم "**بروس**" إلى الباب ، وكان طيلة الحديث ، واقفا عن كثب يحمل ملابس مخدومه العادية وهو صابر ممتثل .. وبعد حديث خافت في الخارج عاد الخادم إلى الغرفة وبيده ظرف مقفل يحمل اسم "**بروس**" بخط دقيق واضح .. وعند ذلك نهض "**بروس**" عن مائدة الزينة وقال بشيء من الدهشة :

– رسالة لي ؟ . .

– نعم يا سيدي . .

ففض "**بروس**" الرسالة وقرأها مرة ثم أعاد قراءتها .. وبعد ذلك ردها إلى الغلاف ووضعها في جيب ردائه ووقف برهة مترددا ، وقال أخيرا :

– اسمعي يا "**بيريل**" .. اذهبي أنت و "**دنيس**" إلى مطعم "**إيفي**" .. آسف إذا كنت سأتخلف عنكما بعض الوقت .. اطلبي إلى "**ماريو**" أن يبقي لي نصيبي من الطعام في حالة تأخري في الحضور .. هل تفعلين هذا من أجلي يا "**بيريل**" ؟

فغمغمت الفتاة بلهجة فاترة :

– سأفعل ما يجب . . .

ووضعت معطفها الخفيف على كتفيها بحركة تنم عن الاستياء وقالت :

– أنا مسافرة إلى "**أمريكا**" غدا يا "**بروس**" .

– أنا في أشد الأسف .. لكن لا حيلة لي في هذا التطور . لابد لي من مقابلة شخص معين بصدد .. مسألة مهمة .. إن ....

لكن "**بيريل**" استدارت نحوه بعنف وقاطعته قائلة بحدة :

– اذهب إلى مصيف "**أولد بريدج**" ، ومثل قصتك الغرامية مع الفتاة الريفية الملعونة ..

وهرولت خارجة من الغرفة والدموع تترقرق في عينيها وجذبت الباب خلفها بعنف . والواقع أن هذا المسلك العنيف من جانب "**بيريل**" كان مفاجأة لـ"**دنيس**" الذي لم يتمالك نفسه أن قال :

– ماذا جرى بحق الشيطان ؟

ذلك أن "**دنيس**" كان يعرف ما هو متواتر في الدوائر المسرحية من تقارب الشعور بين الممثل الكبير ومديرة الإخراج الفني ، وبوصفه صديقا للطرفين كان يرجو أن تتطور هذه العلاقة إلى زواج متكافئ موفق ..

ولكن "**بروس**" أجاب قائلا :

– أنت تعرف ولا شك طباع النساء .. أسرع خلفها بربك .. رافقها إلى الخارج من باب المسرح الأمامي ... لاتدعها تخرج من الباب الخلفي !

– لا بأس .. اعتمد علي .

خرج "**دنيس**" مسرعا في أثر الفتاة .. أما "**بروس**" فقد جمد في مكانه مشبك الذراعين يحدق إلى الباب .. وأخيرا عاد إلى الجلوس أمام مرآة الزينة وراح ينظر فيها بعينين شاردتين . وامتدت يده إلى جيبه فأخرجت الرسالة ، وجعل يسويها ويبسط ثنياتها وبحركة وانية أمسك قلما أمامه وخط على الغلاف : "7 ، 4 ، 28 – 36 " ثم كرر كتابة الأرقام كأنما يحفرها في ذهنه أو

يسجل نصرا باهتدائه إليها . . وما لبث أن رد القلم إلى مكانه وأعاد الرسالة إلى جيبه ، ثم التفت إلى خادمه قائلا :

– توبي . . أدخل السيدة . .

- 5 -

لم تنقض دقائق حتى قدر لـ"**دنيس فوستر**" أن يلتقي بالسيد "**هنري مريفال**" في ظروف يؤسف لها . .

فقد أسرع المحامي الشاب في أثر "**بيريل**" محاولا إبعادها عن باب المسرح الخلفي عملا برجاء "**بروس**" ، ولكنها وفرت عليه هذا العناء إذ سارت بعزم إلى الباب الأمامي وهي تتعثر في الظلام . . ولما لحق بها التفتت إليه وقالت له بأتم هدوء وقد تمالكت أعصابها وكأنها لم تنفعل منذ دقائق :

– ماذا كنت تقصد يا "**دنيس**" عندما قلت إن بإمكانك مساعدة "**بروس**" ؟

فراح "**دنيس**" يقول وقد عادا إلى السير وأشرفا على شارع "**تشيرنج كروس**" :

– اسمعي يا "**بيريل**" . . أود أن تسمحي لي بالذهاب إلى بوليس اسكتلنديارد لكي أذكر القصة كلها للمفتش "**ماسترز**" .

– لكن . . هل تراه يتلقاها بارتياح ؟

– أراهن أن الأمر لن يكون كذلك . . وربما توعد باتخاذ إجراءات لا حدود لها . . لكن أعتقد أني إذا ناقشت الموضوع معه فقد أوفق إلى إقناعه بالتزام الهدوء . . وقد يترتب على تفاهمنا أن يبلغ "**ماسترز**" رجال البوليس المحلي في "**أولد بريدج**" فيقول لهم ما مؤداه : "إذا سمعتم أن "**روجر بولاي**" عاد إلى العمل فلا تكترثوا ، لأنه ليس في الحقيقة سوى "**بروس رانسوم**" يمثل دور هذا السفاح" . . وعند ذلك يستطيع "**بروس**" أن يفعل ما يحلو له دون أي تدخل .

فلم تتمالك "**بيريل**" أن هتفت وهي تتطلع إليه متهللة الأسارير :

– "**دنيس**" ! .. أتفعل هذا حقا ؟

– بوسعي أن أذهب غدا إذا أردت . يا إلهي ! .

هكذا هتف "**دنيس**" ، ووقف يحملق أمامه ..

فقد كان يجاور المسرح أحد محال ألعاب الحظ التي يقف فيها اللاعب أمام آلة يدير قرصها بعد وضع مبلغ صغير في ثقب الآلة ، وبعد مرات تطول أو تقصر ، وبين صليل التروس المعدنية وبريق الأضواء الملونة يكسب أو يخسر في النهاية ..

في هذا الوكر خافت الضوء لمح "**دنيس**" المفتش "**ماسترز**" منحنيا أمام آلة يجرب حظه ويتتبع الصليل المعدني والبريق الضوئي باهتمام . وقد غمغم "**دنيس**" يقول للفتاة بعد أن بين لها سبب دهشته :

– لا أدري ماذا يفعل "**ماسترز**" هنا ؟ .. لكن من المحتمل أنه في مهمة سرية، وربما كانت الفرصة غير ملائمة للتطفل عليه ومحادثته ...

– آه .. ألا يمكن أن نحاول الآن ؟ .

– ألا تمانعين في دخول مكان كهذا ؟ .

– هذا ما أوده ، وكل ما هناك أن الفرصة لم تسمح لي من قبل للدخول مع أحد ..

لم يرفع المفتش "**ماسترز**" رأسه عند اقتراب القادمين ، ولكن "**دنيس**" سمعه يقول بصوت خافت مزمجر :

– لا تكلمني يا سيدي .. ويحسن أن تخرج مع السيدة من هنا ، فقد تقع متاعب ..

فرد عليه "**دنيس**" بنفس الصوت قائلا :

– حسنا .. كل ما هنالك أننا أردنا أن نقول لك شيئا عن "**روجر بولاي**" ..

– انتظر لحظة !

والواقع أن اسم القاتل السفاك كان له تأثيره العميق في نفس مفتش البوليس ، كما كان دأبه دائما طيلة أحد عشر عاما . وهكذا استدار "**دنيس**" وواجه "**ماسترز**" الذي قال له وهو يحدجه بنظرات السخط والارتياب :

– إن الشخص الذي أنتظره قد لا يحضر قبل عشر دقائق أخرى .. فهل عندك ما تقوله لي ؟ .. أو عند هذه السيدة ؟ ..

فقال "**دنيس**" :

– معذرة .. أقدم لك الآنسة "**بيريل وست**" ، التي تشرف على إخراج المسرحيات التي يمثلها "**بروس رانسوم**" ..

– "**بروس رانسوم**" ؟ . المسرح المجاور ؟ .

– هو ذاك .

– لا بأس . وهل أتيح لك يا آنسة أن تقابلي "**روجر بولاي**" ؟

– أنا ؟ .. لا والله .

فتفوه "**ماسترز**" بكلمة شفت عن خيبة أمله ، ولكنه أخفى شعوره بالانهماك في إدارة آلة الحظ من جديد . وبعد فترة قال للفتاة :

– إذن ماذا تعرفين عن "**بولاي**" يا آنسة ؟

– أخشى أن أقول إني لا أعرف أكثر مما جاء في المسرحية .

– مسرحية ؟ .. أية مسرحية يا آنسة ؟ ..

فتولى "**دنيس**" البيان قائلا :

– إن شخصا ما ألف مسرحية تدور أحداثها حول "**بولاي**" .. وسيقوم السيد "**رانسوم**" بتمثيل الدور ..

فقطب "**ماسترز**" وجهه وقال بإصرار :

– لكن ما أريد معرفته هو المعلومات التي قلتم إنكم تعرفونها عن "**بولاي**" . ما هذه المعلومات ؟

فأجاب "**دنيس**" :

– لا بأس .. الحقيقة أنه ليس لدينا معلومات جديدة .

وقالت "**بيريل**" لاكتساب عطف المفتش :

– لابد أنها كانت قضية متعبة شاقة ، خصوصا – كما يقول "**بروس**" – ذلك الجزء الخاص بتلك المرأة التي نظرت من خلال ستائر النافذة وشاهدت الضحية ممددة على الفراش مخنوقة ... وإلى جانبها "**بولاي**" وهو يشعل سيجارته تحت المصباح ..

كان لهذا الكلام تأثير صاعق في نفس مفتش البوليس ، الذي قال بصوت خافت :

– إذن هذا ما رأته الشاهدة .. أليس كذلك ؟

– نعم .. ألم يكن هذا ما شاهدته ؟

فأجاب "**ماسترز**" وهو يومئ برأسه في مودة مريبة :

– بلى هذا ما شاهدته فعلا يا آنسة .. لكن كيف تهيأ لك أن تعرفي ذلك ؟

خيم صمت متصل .. وما لبث المفتش أن قطعه قائلا :

– الحقيقة يا آنسة أننا نشرنا في الصحف كل ما يتصل بأمر الجرائم الثلاث الأولى .. وكان لابد أن نفعل هذا .. فقد كنا جادين في مطاردة الجاني وربما استطاع الجمهور أن يساعدنا .. ولكن الأدلة المتصلة بالجناية الرابعة، الأدلة التي يمكن أن تؤدي إلى وضع حبل المشنقة حول رقبة "**بولاي**" ، هذه الأدلة قد أبقيناها سرا ..

وعند هذا الحد من الحديث نظر "**ماسترز**" بصرامة إلى الفتاة وقال لها :

– بغض النظر عن وجود شاهدة في الجريمة الرابعة فقد حرصنا أشد الحرص على إخفاء هذه البيانات عن الصحافة ، وعدم إذاعتها خارج دوائر البوليس .. فكيف تهيأ لك يا آنسة أن تعرفي هذه المعلومات ؟

فترددت "**بيريل**" برهة ، ثم قالت في غير مواربة :

– لكن هذه المعلومات واردة في المسرحية !

– تقصدين المسرحية التي سيمثلها السيد "**رانسوم**" ؟

– نعم .. بالتأكيد !

– ومن هو مؤلف المسرحية يا آنسة ؟

– نحن لا نعرف المؤلف شخصيا .. هو شخص لا أتذكر اسمه .. وقد أرسل المسرحية إلى "**بروس**" .

– لكن لديكم اسم هذا المؤلف وعنوانه ؟

– نعم .. أو هذا ما يعرفه "**بروس**" على الأقل ..

– وأين المسرحية الآن يا آنسة ؟ .

– تعني النسخة الأصلية ؟ . إنها تنسخ الآن على الآلة الكاتبة .. أعتقد أن "**بروس**" يمكنه إحضار الأصل ..

فأومأ "**ماسترز**" برأسه . وقال في رقة وتلطف :

– لا داعي للقلق يا آنسة . أنا آسف إذا كنت قد تكلمت بلهجة حادة منذ برهة .. ولعلكما لا تمانعان في تكرار هذه البيانات على مسمع من السيد "**هنري مريفال**" .

فقال "**دنيس**" وهو ينظر حوله :

– السيد "**هنري مريفال**" .. العالم الجنائي الكبير ؟ أهو هنا ؟ .

فأجاب "**ماسترز**" مخاطبا الفتاة :

– الأفضل أن يصدر الكلام منك ، لا مني .. إن قضية "**بولاي**" هي القضية الوحيدة التي لا أجسر على إثارتها أمام الرجل العجوز ، حتى بعد مضي إحدى عشرة سنة على وقوع أحداثها .

– وما السبب ؟

– إن هذا الموضوع يثير جنونه .. لأنني لم أستشره في القضية .. كنت أظن أنني لن أحتاج إلى معونته ... وهكذا فإنه ما من مرة كنت أثير فيها القضية إلا رأيته يتطلع إلى السقف متجاهلا متشاغلا .. والآن وقد عاد إلى استئناف لعب الجولف بعد انتهاء الحرب العالمية ، أراه ما زال على سالف حاله من الإعراض والتبرم ...

– وأين هو الآن ؟

فأجاب "**ماسترز**" وهو يتلفت حوله :

– إني رأيته آخر مرة يتفرج على "الفانوس السحري" ولما رأى علامات الدهشة ترتسم على وجه "**دنيس**" استطرد يقول :

– إني سمحت له بالمجيء إلى هنا الليلة بصحبة مدرب الجولف الأسكتلندي الذي يلازمه هذه الأيام ، بشرط أن يحسن سلوكه ويكف عن الاشتباك والخصام...

– يحسن سلوكه ؟ وما السبب ؟

– هيا بنا إليه ..

التفت إلى ناحية الباب الأمامي بنظرة لا تخلو من قلق ، ثم سار بهما إلى أقصى المحل حيث صفت مجموعة من ألعاب التسلية وقف بعض البحارة عليها، وعن كثب منهم اشتبك رجلان في مناقشة حامية حول أيهما يتفوق على صاحبه في إدارة لعبة من ألعاب القوى .. فأما أحدهما فهو قصير القامة صارم

النظرات يدعى "**دونالد ماكفرجوس**" مدرب الجولف ، وأما الثاني فكان ضخم البنية يرتدي بذلة سوداء ويضع على عينيه نظارة سميكة كان يتطلع من فوق حافتها بنظرات مرعبة وقد وقف واضعا يديه في خاصرتيه بصورة تدل على حب الشر والاستفزاز والتحدي .. ولم يكن سوى السيد "**هنري مريفال**" ..

والواقع أن المناقشة الحامية بين الاثنين لم تلبث أن انقلبت إلى خصام عنيف كان ضحيته آلة ألعاب القوى ، التي اختل ميزانها وهوت على الأرض محطمة في دوي يصم الآذان .. ولكن المأساة لم تقف عند هذا الحد ، فإن الحطام أصاب البحارة الواقفين عن كثب مما أثار سخطهم ودفعهم إلى الانتقام لأنفسهم بتحطيم بعض الآلات الأخرى ، حتى انقلب المكان في لحظة إلى دوامة جنونية تعالى فيها الصياح والصخب مقترنا بتحطيم الآلات ، وتهشم الزجاج..

حدث كل هذا في لحظات بينما كان "**ماسترز**" يقود "**بيريل**" و "**دنيس**" إلى مكان العالم الجنائي الشهير وصاحبه مدرب الجولف الأسكتلندي ولو اقتصر الأمر على ذلك لما تدخل "**ماسترز**" ، ولترك الرجل العجوز يسوي بنفسه مشاكله الخاصة وخصوماته التي لا يفتأ يثيرها بين وقت وآخر .. ولكن الموقف تكهرب فجأة بظهور رجال البوليس الحربي لضبط الواقعة ، فلم يسع "**ماسترز**" إلا أن يخف إلى العمل قبل تفاقم الموقف ، وهكذا قاد الأربعة من باب في أقصى المحل إلى ممشى مسور ومنه إلى حجرة خلفية لحانة كان يعرف صاحبها ..

وما لبث "**ماسترز**" أن أغلق الباب بالمفتاح وتقدم إلى السيد "**هنري مريفال**" الذي جلس في مقعد أمام المائدة ، ثم قال له وقد وضع يديه في خاصرتيه :

– والآن ؟ .. ألا تخجل من سلوكك ؟

فراح السيد "**هنري**" يقول بلهجة الشهيد المجني عليه :

– هلا فسرت لي يا "**ماسترز**" لماذا تحدث لي هذه الأشياء ؟ إنني أسير في

حياتي هادئا مسالما ومع ذلك أراني في النهاية ضحية مؤامرة ملعونة ؟ هلا فسرت لي السبب ؟

فأجاب "**ماسترز**" بغير تردد :

– سأفسر لك دون شك .. السبب هو أنك تعرض نفسك عامدا لهذه المشاكل.. ولو كنت تقنع بالجلوس في ناديك هادئا ، أو في بيتك تقرأ كتابا مفيدا ، أو تفعل شيئا يناسب شخصا في سنك ، لما تورطت أبدا في هذه المشاكل ..

وصعد الدم إلى وجه "**ماسترز**" وهو يسترسل قائلا :

– وسيكون من دواعي سروري أن تجد ببابك صباح غد واحدا من رجالنا ، وأن ينتهي الأمر بحبسك ستة أسابيع دون وقف التنفيذ ..

– وكيف يمكن أن يقبضوا علي ؟

– أتسأل هذا السؤال ؟ أين هي قبعتك ؟

فارتفعت يدا العجوز إلى رأسه الأصلع ، بينما استطرد "**ماسترز**" قائلا :

– ألم تتركها خلفك في المحل ؟ إن اسمك مثبت بها .. ولما تطلع العجوز إليه بنظرات الأسف النادم قال "**ماسترز**" :

– لن أقول إن بإمكاني تسوية هذه المسألة .. ولكن ربما كان بوسعي أن أسويها .. بشرط واحد .. هو أن تتخلى عن عنادك في قضية "**بولاي**" ..

خيم صمت طويل ما لبث العجوز أن قطعه قائلا :

– أهو إكراه وتهديد ؟

– لا يا سيدي .. إنه ليس كذلك .. خصوصا إذا قلت : إننا إزاء دليل جديد ..

وقدم إليه الشابين ، ثم استطرد قائلا :

– والآن يا سيدي .. هل قرأت ذلك الملف الضخم الذي أرسلته إليك ، متضمنا تفاصيل قضية "**روجر بولاي**" ؟

– لا بأس .. ربما كنت ألقيت عليه نظرة سطحية لأرى سبب الضجة التي أثارها رجال البوليس حول هذا الموضوع ...

– هل تذكر التفاصيل الخاصة بالشاهدة في حادث "**توركاي**" ؟

– تعني الفتاة ذات الشعر الأحمر التي تدعي "**ملدريد ليونز**" ؟ التي تعمل على الآلة الكاتبة ونالت أجرها ورقة رديئة من فئة عشرة شلنات ؟ والتي نظرت من خلال ستائر النافذة ورأت .. أشياء كثيرة ؟ لكن ما علاقة كل هذا بمهنة التمثيل؟

فتولى "**ماسترز**" الإيضاح قائلا :

– إن مؤلفا مجهولا كتب مسرحية عن "**بولاي**" وبعث بها إلى الممثل "**بروس رانسوم**" .. وهذا المؤلف يعرف الكثير .. يعرف أن "الشاهد" امرأة ، ويعرف أين نظرت ، وماذا رأت ، باختصار هو يعرف كل المعلومات التي لم تكن معروفة إلا لرجال البوليس ، ولك ، وللشاهدة "**ملدريد**" فقط .

ومرة أخرى خيم الصمت ، ولكن بصورة مختلفة . فإن الرجل العجوز قضم طرف سيجار ، وهم بإشعاله من قداحة أخرجها من جيبه ، ولكنه ما كاد يسمع كلمات "**ماسترز**" الأخيرة حتى كف عن إشعال السيجار فجأة وشاعت في محياه نظرة غريبة حتى بهت "**دنيس**" ولم يدر كيف يوائم بين الصور المتناقضة في شخصية هذا العجوز الذي يثير الشجار في المحال العامة . ثم هو الآن حجر الزاوية في حل القضايا العويصة .. ولكن "**دنيس**" أيقن أن العجوز الوادع يخفي تحت إهابه دهاء الثعلب الماكر ..

ومهما يكن فإن السيد "**هنري**" ما لبث أن أطفأ لهب القداحة ووضعها هي

والسيجار على المائدة ، قائلا :

– هذا شيء طريف .. وهل قبل "**بروس رانسوم**" هذه المسرحية ؟

فأجابت "**بيريل**" وهي تهز منكبيها :

– نعم .. يمكن أن نقول هذا ..

– وهو بالتأكيد قابل المؤلف ؟ .

– كلا . إن "**بروس**" كتب إلى المؤلف .. لكننا لم نتلق ردا منه ..

– أحقا ؟ ومتى كتب إلى المؤلف ؟

– منذ ثلاثة أسابيع ..

– غريب ، إني أعلم بالتجربة أنه متى أرسل مؤلف مجهول مسرحية وقبلت، فإن أول ما يفعله هو أن يشفعها برسالة عاجلة . وبعد ذلك يزحف بنفسه ويرابط لدى إدارة المسرح حتى يضجروا منه ! .. وهل ينوي "**رانسوم**" إخراج هذه المسرحية ؟

وهنا تدخل "**دنيس فوستر**" قائلا :

– إنه سيفعل أكثر من هذا .. إنه ينوي الذهاب إلى قرية "**أولد بريدج**" في "**سفولك**" حيث ينتحل شخصية "**روجر بولاي**" ليرى كيف يكون ختام المسرحية في عالم الواقع ..

فلم يتمالك مفتش البوليس نفسه أن صاح قائلا :

– ما هذا الكلام ؟

فأخذ "**دنيس**" يشرح كل شيء ، مبينا فكرة المسرحية والدور الذي ينوي "**رانسوم**" الاضطلاع به ، طبقا لما سمعه في أثناء الحديث الذي دار في غرفة "**رانسوم**" بالمسرح .. وفي خلال ذلك كانت ملامح "**ماسترز**" تتغير أكثر من مرة أما العجوز فقد ظل ساكنا ، وقال في النهاية :

– أهو ذاهب إذن إلى "**أولد بريدج**" ؟ .. هل يعرف شيئا عن هذا المكان ؟ .. وهل ذهب إليه من قبل ؟ .

فأجابت "**بيريل**" قائلة :

– لا بتاتا .. إنه اختار هذا المكان اعتباطا ..

– إذن فسوف يتلقى هناك صدمة .. إني أعرف فتاة في ذلك المكان تطابق أوصافها ما هو معروف عن بطلة المسرحية .. إنها تدعى "**دافني هربرت**" .. ووالدها هو ..

وكف العجوز عن إتمام كلامه ، ثم أردف وهو يعبث بأصابعه :

– ألا ترى يا "**ماسترز**" أنه سيكون من الغرابة أن تمثل تلك المسرحية في عالم الواقع ، سطرا بسطر ، وحرفا بحرف ؟

فأجاب مفتش البوليس بلهجة مستطيرة :

– ربما كان ما تقول يا سيدي .. هذا إذا تركت شيئا كهذا يتم ..

– هل تنوي ألا تسمح بذلك .. ؟

– وهل تظن يا سيدي أني أقف موقف المتفرج من مهزلة كهذه ربما تعرقل خططنا في القبض على "**بولاي**" الحقيقي ؟

فقال السيد "**هنري**" بهدوء :

– كلا .. لن تفعل شيئا ، إن كنت تطمع في مساعدتي إياك ...

فجعل "**ماسترز**" يحملق إلى وجه العجوز ، الذي جاهر برأيه قائلا :

– دع "**رانسوم**" وشأنه .. بل أكثر من هذا أطلب إليك إبلاغ البوليس المحلي في "**أولد بريدج**" أن يدعه وشأنه .. مفهوم ؟

بيد أن "**ماسترز**" ما لبث أن غير لهجته عندما رأى العجوز يتحفز لمجابهته برد شديد ، وأردف قائلا :

– نعم .. أنت أستاذنا الكبير .. لا شك في ذلك .. لكن قل لي حجة معقولة.

فلم يجب العجوز ، وبدا من ملامحه كأنه يحاول استعادة ذكرى أفلتت منه، حتى غمغم قائلا "**روجر بولاي**" ... **روجر بولاي**" ..

وكان سطح المائدة مبتلا بآثار الشراب المنسكب ، فما لبث السيد "**هنري**" أن غمس سبابته في السائل وخط فوق المائدة الحرفين "ر . ب" ثم كررهما مرة أخرى وأمال رأسه لكي يتأملهما من زاوية جانبية . وأخيرا استطرد يقول :

– قل لي يا "**ماسترز**" .. هل خطر لك مرة كيف تبدو الأشياء مسلية إذا كتبت أسماؤها معكوسة ؟

ولكن العجوز الداهية لم ينتظر الجواب ، بل أفاق من تأملاته الغامضة قائلا؟..

– هل تظن أن هذه المسرحية المؤلفة عن "**بولاي**" هي حقيقة دليل حاسم جديد؟ ..

– أظن أنها تسوقنا إلى دليل جديد .. ألست من رأيي ، ما دمنا إزاء شخص يعرف الكثير ؟

– حسنا .. علينا أن نتأكد أولا أنه ليس لهذا تفسيره الطبيعي البريء ..

– مثل ؟ ..

– اللهم هبني صبرا ! .. أنت تتكلم يا "**ماسترز**" وكأنه يستحيل على إنسان ما أن يثرثر ! .. ولنأخذ مثلا هذه الفتاة المدعوة "**ملدريد ليونز**" .. هب أنها قصت مغامرتها الرهيبة على شخص ما ، وبلغت القصة مسامع مؤلف طموح؟.. فهل يمكنك ، وأنت رجل متزوج ، أن تفكر في وسيلة لمنع امرأة من الكلام ؟ ..

– بإمكاني هذا فعلا ، إذا كانت حياتي تتوقف على ذلك إن "**بولاي**" مجرم سفاك ، وإذا تهيأ له أن يعرف اسم الشاهدة التي تستطيع أن تضع حبل المشنقة

حول عنقه ، فإن حياتها تصبح في خطر .. وهذا ما أوضحناه للشاهدة.

فأمن السيد "**هنري**" على كلام المفتش ، وإن رمقه بنظرة غريبة ، بينما استطرد "**ماسترز**" وهو يفتح النافذة لتجديد الهواء :

– ولكن المسألة الأساسية هي : ما رأيك في القضية كلها ؟

– قضية "**بولاي**" بصفة عامة ؟ ..

– نعم ! .. نحن إزاء رجل يقتل النساء ، ثم يجعل جثثهن تتلاشى وكأنما أصابتها قنبلة ذرية .. فكيف يتأتى له ذلك ؟

– سيكون من دواعي تقديري يا "**ماسترز**" أن ترسل إلي من جديد ملف القضية غدا ، مشفوعا بما يتيسر لك من البيانات المفصلة عن المراحل الأولى من حياة ذلك الرجل قبل أن يتحول إلى شخصية القاتل المستهتر ..

وفي هذه الأثناء فتح "**ماسترز**" النافذة ونظر منها ، فما لبث أن جمد مكانه وقال على الأثر :

– أطفئوا النور ! ..

والواقع أن لهجة المفتش أزعجتهم ، حتى لم يتمالك "**دنيس فوستر**" نفسه وأسرع إلى زر النور المجاور للباب وأطفأه ثم تلمس طريقه إلى مكان "**ماسترز**" تتبعه "**بيريل**" وقد بلغ منهما الاضطراب مداه ..

كانت هذه الحانة مواجهة للباب الخلفي لمسرح غرناطة وما لبث "**ماسترز**" أن قال :

– انظروا ! .. أتعرفون من هذه المرأة ؟ ..

كان ثمة مصباح يضيء باب المسرح الخلفي ، وقد شاهدوا الباب يتحرك ، وظهرت من خلفه امرأة بلا قبعة ترتدي معطفا واقيا ، في طريقها إلى خارج المسرح .

كانت المرأة بادية الاضطراب تلتزم الحذر في حركاتها وقد وقفت برهة تنظر يمينا وشمالا وكأنها غير واثقة من الطريق الذي ستسلكه .. وكان الضوء يبين ملامح وجهها وشعرها الأحمر ، فلم تكن جميلة ، وكانت عيناها تلمعان بتأثير انفعال شديد يتراوح بين الخوف والانتصار .

وأخيرا تكلم "**ماسترز**" قائلا :

– هذه "**ملدريد ليونز**" .. معذرة .

وهرع إلى ناحية الباب وهو يتعثر في الظلام ، وأما "**بيريل**" فقد تلمست يد "**دنيس**" وشدت عليها بقوة ، ولم تلبث المرأة ذات الشعر الأحمر أن أغلقت باب المسرح بعد نظرة سريعة خلفها .. ثم وقعت أنظارهم عليها وهي تبتعد مسرعة في اتجاه شارع "**تشيرنج كروس**" وهي منكسة الرأس .. وهنا لم تتمالك "**بيريل**" نفسها وزادت اقترابا من "**دنيس**" وقد اشتد بها الاضطراب كأنما تلتمس عنده الحماية ، ولما وضع ذراعه حولها ليطمئنها شعر بجسدها يرتعد .. وهمست تقول :

– أنا السبب في هذا .. الذنب ذنبي .. أما الآن فإني خائفة .. أنا خائفة !.. أنا خائفة ! .

- 6 -

فض "**دنيس فوستر**" البرقية التي وجدها في صندوق بريد مسكنه عندما عاد إليه في مساء ذلك الخميس الرابع من شهر تشرين الأول (أكتوبر) ، فكانت بالنص الآتي :

"رجعت من "**أمريكا**" أمس – حاولت الاتصال بك تليفونيا في المكتب لكني وجدتك قد خرجت – هل يمكنك أن تسافر معي إلى "**أولد بريدج**" غدا الجمعة

بقطار الساعة الواحدة بعد الظهر – محطة شارع "**ليفربول**" – حدثت أشياء مروعة"

المخلصة "**بيريل**"

لقد مضى شهر كامل منذ تلك الليلة في الحانة دون أن يجد جديد ، مما أفعم نفس الشاب بالمخاوف . ولما استوعب البرقية بدا له أول الأمر أنه لن يستطيع السفر في هذا الموعد ، بسبب ضغط العمل في مكتبه .. على أنه حينما عاود النظر في الموضوع ، قرر أنه يستطيع الاعتماد على مساعديه في المكتب خصوصا إذا أنجز الأعمال المتراكمة حتى ظهر الجمعة ..

والواقع أن "**دنيس**" بذل المستحيل حتى استطاع أن يلحق بقطار الساعة الواحدة وهو يتحرك من المحطة وانضم إلى "**بيريل**" في ممشى القطار وهو يلهث من فرط الجهد ، وبعد أن تبادلا التحية قال لها :

– أراك في صحة جيدة يا "**بيريل**" .. هل كانت رحلتك طيبة ؟

– إنني بخير .. شكرا لك .

– هل كان حفل الافتتاح في مسرح "**برودواي**" ناجحا ؟ .

– إلى حد ما .. لكن ليس هذا هو المهم .. أريد أن أعرف يا "**دنيس**" ماذا حدث في غيابي .

– لكني لا أعرف .. وكنت .. وكنت أحسبك تعرفين كل شيء ! .

– هل رأيت "**بروس**" ؟ .

– لا ..

– وما السبب بالله عليك ؟ .

– الحقيقة أني لم أرد أن أكون متطفلا .

فقالت له معاتبة :

– أواه يا "**دنيس**" .. إن "**بروس**" صديقك .. ولا يمكن أن يعتبر شيئا كهذا تطفلا منك .. على أي حال ، هل رأيت السيد "**ماسترز**" مفتش البوليس ؟ .

– إني تكلمت معه بالتليفون مرة ..

– خيرا يا "**دنيس**" ؟ ..

– الظاهر أن السيد "**هنري مريفال**" أعطى تعليمات مشددة للمفتش "**ماسترز**" بعدم التعرض لـ"**بروس**" .. ومع أن المفتش أذعن لرغبة الرجل العجوز فإنه انتحل عذرا للاتصال بـ"**بروس**" قبل سفره ، وإن كان "**ماسترز**" مع ذلك لم يطلع البوليس على شيء .. هل تذكرين تلك الليلة الأخيرة التي أمضيناها في محل ألعاب الحظ والحانة ؟ ..

– هل أذكرها ؟ كيف لا وقد اختفى "**بروس**" تلك الليلة تماما ولم يحضر حتى للانضمام إلينا في مطعم "**إيفي**" للعشاء ؟ ! إنني .. إنني لم أتمكن حتى من مقابلته قبل السفر للسلام والوداع ! .

فاستطرد "**دنيس**" يقول لإبعاد ذكريات تلك الليلة الكئيبة :

– في تلك الليلة حدثت سرقة في مكتب "**إتيل ويتمان**" للنسخ على الآلة الكاتبة بشارع "**بدفورد**" .. فقد سرق مجهول النسخة الأصلية لمسرحية "**بولاي**" ، وهي النسخة الوحيدة الموجودة ..

– يا للمفاجأة ! ..

– ولكن هذا الحادث أبقي طي الكتمان الشديد بناء على أمر السيد "**هنري**" ..لم ينشر عنه شيء في الصحف ، وأقسم كل من يعنيهم الأمر ، حتى "**بروس**" ، أن يتكتموا الحادث ..

– وماذا قال "**بروس**" عندما علم به ؟ ..

– قابله فيما يظهر بالضحك وقال إنه شيء لا أهمية له لكن دعينا من هذا وقولي لي ما عندك .. إن برقيتك لي ..

فتناولت "**بيريل**" من حقيبة يدها ورقة مطوية قذفتها إليه ، وكانت الكلمات الآتية مطبوعة في أعلاها : (فندق – "**ليذربوت**" – "**سيكريست**" – قرب"**أولد بريدج**")، وتضمنت رسالة بخط "**بروس**" بتاريخ 27 أيلول (سبتمبر) هذا نصها :

" يا ملاكي – تقول برقيتك إنك ستعودين بالباخرة "**كوين إليزابيث**" حوالي اليوم الرابع أو الخامس . إن كنت تحبينني فلتعودي إلي في هذا المكان بأسرع ما يمكنك . لا يمكنني أن أشرح لك الآن كل شيء ، ولكني في ورطة ، وأنا في حاجة إليك .

"المخلص **بروس**"

" ملحوظة – أرجو أن تكون رحلتك إلى "**أمريكا**" موفقة .

وآسف لتقصيري في مراسلتك " .

وقالت "**بيريل**" بعد أن استردت الرسالة :

إنها الرسالة الوحيدة التي كتبها لي منذ سفري .. إن "**بروس**" ليس بالشخص الذي يثير ضجة من أجل لا شيء .

– هذا صحيح .. ماذا تظنين أنه قد حدث ؟ .

فأقفلت "**بيريل**" حقيبة يدها بحركة مشوبة بالغضب وهمت أن ترد ، حين ترامى إليها صوت عقد لسانها عن الكلام .

كانا واقفين في ممشى مركبة القطار بين مقصورتين ، وكانت بقية المقصورات مغلقة لقلة المسافرين بالقطار .. ولكن المقصورة المجاورة لمكان "**بيريل**" كان

زجاجها مفتوحا قليلا ، وانبعث منها صوت فتاة تتكلم بصوت يتهدج وبلهجة العناد قائلة :

– أنا آسفة يا أبي .. لا حيلة لي فيما تقول أنت .. أو تقول أمي ، أو يقول أي إنسان في "**أولد بريدج**" كلها .. أعتقد أنني أحبه .

– اسمعي يا "**دافني**" ! .. إن موقفك هذا مع رجل قد يكون قاتلا ..

والحق أن "**بيريل**" و "**دنيس**" لم يتمالكا أن تبادلا نظرة جزع ووقفا برهة جامدين ..

ولم تلبث "**بيريل**" أن أسرعت تتقدم خطوة لإلقاء نظرة على المقصورة، لولا أن استوقفها "**دنيس**" بالحركة والإشارة وهو يكاد يفترسها لإقدامها على هذا العمل.. ولكنه استطاع هو نفسه في هذه الأثناء أن يلمح بنظرة خاطفة ثلاثة أشخاص يحتلون المقصورة ..

ففي الركن المتجه إلى القاطرة جلست امرأة أنيقة تقدمت بها الأعوام ولكنها كانت محتفظة بملاحتها ، ولا ريب أنها الأم . وجلس بجانبها رجل خط الشيب شعر رأسه وقد استدار في مجلسه بحيث كان ظهره إلى ناحية الناظرين من ممشى المركبة ..

وأما الفتاة فقد واجهتهما واقفة وظهرها إلى الباب ، وقد استطاع "**دنيس**" و"**بيريل**" رغم الضوء اليسير أن يلما بصورة واضحة للفتاة .. كانت هيئتها تنم عن طيبة المنشأ والتزام طاعة الوالدين والتحفظ ، وحتى وهي واقفة موقف النضال والمقاومة لم تستطع إلا أن تغض نظرها وهي تدافع عن قضيتها بأشد انفعال وتأثر وقد تورد محياها من شدة الارتباك ..

سرت أصوات الأسرة واضحة إلى آذان "**دنيس**" و "**بيريل**" وقد ارتدا مكانهما فكان الرجل أشيب الشعر يقول بحمية :

– إن الذي يشغلني هو الرجل نفسه .. ومتى كان الرجل شخصا لا غبار

عليه، فلا اعتراض لي على اختيارك ، لكن بصدد هذا الشخص المقصود ، هل تدركين أنه قد يكون قاتلا مخبولا يجد البوليس في البحث عنه منذ أعوام ؟ .

فردت "**دافني**" بصوت بدا محتبسا .

– إذن فقد رحت تصغي إلى الإشاعات المسمومة أيضا ؟

– ألم تسمعي بها أنت يا عزيزتي ؟

فقالت "**دافني**" :

– إن ما لم أفهمه هو كيف نشأ هذا اللغط الفظيع ؟

– كفى يا عزيزتي .. كوني عادلة معقولة .

– أنا كذلك فعلا ..

وفي خلال ذلك خيم الظلام وأضيئت المقصورة ، وبدت أشباح السيد والسيدة "**هربرت**" و "**دافني**" مرتسمة بوضوح في الزجاج المظلم المواجه لهما ، ووجد "**دنيس**" في ملامح الفتاة المتناسقة وقوامها الغض ما هز مشاعره لأول مرة على صورة غير معهودة .. ولم يتمالك أن همس في أذن "**بيريل**" لمجرد الرغبة في الكلام لا أكثر :

– "**بيريل**" ! . ماذا بك ؟ .

– هؤلاء الناس !

– ما شأنهم ؟ ..

– إنهم مطابقون في أوصافهم لما ورد عن شخصيات المسرحية .. ويكاد الإنسان يظن أنها كتبت عنهم خصيصا .

– صه ! ..

ذلك أن "**هربرت**" ما لبث أن تكلم بصوت مرتفع ليعلو في صوته على هدير القطار في أثناء مروره بأحد الأنفاق ، فقال :

– اسـمـعي يا "**دافني**" ! .. حـدث في أول يوم لوصـول صـاحـبك إلى فندق "**ليـذربوت**" أن بدأ يكتب اســمـه خطأ في سـجل الفندق هكذا : "**روجـر بو..**" .. ثم ما لبث أن استدرك وأسرع يمحو الاسم ..

– ليس لديك دليل على هذا ..

– إن هذا ثابت بشـهـادة الكابتن "رنويك" صـاحب الفنـدق ، الذي رأى هذه الواقعة ..

– لكن .. !

– ثـم إني كنت في الفندق ، ومعي "**تشيترنغ**" أيضـا ، عندما ألقى صاحبك تلك المحاضرة القصيرة عن سهولة القتل بواسطة الخنق .. والواقع أن كلامه أوقف شعر رؤوسنا .. ولم نشهد شيئا رهيبا كهذا منذ مشاهدتنا لـ"**رتشارد نسفيلد**" في رواية دكتور "**جيكل** " والسيد "**هايد**" ..

وهنا همس "**دنيس**" في أذن "**بيريل**" قائلا :

– يا إلهي ! .. إن "**بروس**" يبالغ في تمثيل دوره مثل ..

ولكن "**بيريل**" أسكتته ليسمعا كلام "**هربرت**" الذي راح يقول :

– وقد زاد الطين بلة يا "**دافني**" عندمـا استـدرجه "**تشيترنغ**" إلى الكلام عن أشهر القضايا الجنائية ، وعن قضـية "**روجر بولاي**" بالذات .. وعندمـا تكلم صاحبك الفاضل عن ضحية "**بولاي**" الثانية ، هاوية الموسيقى ..

– أرجو أن تكف يا أبي ! ..

– ذكر بعض التفاصيل التي يقسم "**تشيترنغ**" ، ويؤيده في ذلك القس ، أنها لم تنشر قط في كتاب أو مقال ..

فقالت "**دافني**" متألمة :

– لا أطيق سماع هذا الكلام يا أبي ! .. إنه كلام رهيب ! ..

– صحيح يا عزيزتي .. ولكنه حقيقي ..

فراحت "**دافني**" تقول بحمية :

– لكن إذا كنت يا أبي تظن أنه الشخص الذي تتحدث عنه وأنا أخالفك في هذا لأنه حبيبي . فلماذا لا تذهب إليه وتفاتحه في ذلك ؟ ...

– وهذا هو عين ما أنوي أن أفعله يا عزيزتي ..

فهتفت السيدة "**هربرت**" قائلة :

– لا تثرها فضيحة يا "**جوناثان**" ! . أليس أحق من هذا أن تذهب إلى البوليس ؟..

– أصارحك يا "**كلارا**" أني ذهبت إلى البوليس فعلا .

فقالت "**دافني**" مشدوهة :

– ذهبت .. ذهبت إلى البوليس ؟ .

– نعم .. منذ ثلاثة أيام ..

– وماذا قالوا لك ؟ ..

– ضحكوا مني ..

فقالت "**دافني**" متهللة :

– لكن لماذا لم تخبرني بهذا قبل الآن يا أبي ؟ .. ألا ترى أنه يضع حدا للأقاويل القذرة ؟ .. فإن البوليس أقدر من غيره على معرفة الحقيقة .

فتردد "**هربرت**" برهة ، ثم أجاب متلعثما :

– أصغي إلي يا عزيزتي .. لا أريد أن أظلم هذا الشخص .. كل ما أريده لك أنا ووالدتك هو السعادة .. لكني أعتقد أنه ليس بالإنسان الذي يصلح لك ، وسأثبت لك هذا بطريقة ما ..

فقالت "**دافني**" في صوت محتبس :

– إذا لم تترو في الأمر ، فإني سأهرب معه غدا .. نعم .. سأفعل .. وهو قد طلب مني هذا .

وسرعان ما وثب السيد "**هربرت**" قائما وقال :

– هل طلب منك هذا الشخص أن تهربي معه وتتزوجيه ؟

– نعم ! ..

وعند هذا الحد تبادل "**دنيس فوستر**" و "**بيريل وست**" النظرات ، وهمست الفتاة قائلة :

– لنذهب من هنا .. أسرع ! .. أسرع بالله عليك ! .

فأطاع "**دنيس**" ، وسار الاثنان في الممشى إلى المقصورة القريبة ، وفتحت "**بيريل**" بابها وتقدمت خطوة ، ثم أدركت بعد فوات الأوان أنها مشغولة .. كان في المقصورة رجل قوي البنية أصلع الرأس لولا بعض خصلات من الشعر مشطها بعناية ، يشغل وقته بتصفح كتاب بين يديه .. ولما رأى الفتاة داخلة تلقاها بابتسامة يسيرة ونظرة مستطلعة .. فهتفت "**بيريل**" وكانت تريد مكانا منفردا تتحدث فيه مع "**دنيس**" بحرية :

– معذرة .. أخطأنا المقصورة ..

فابتسم الرجل مرة أخرى ثم عاد إلى كتابه يقرأ هانئا وادعا .. ولكن "**دنيس**" استطاع أن يلمح عنوان الكتاب الذي روعه على صورة غير مفهومة ، ولم يكن العنوان سوى : "فن تأليف المسرحيات" .

- 7 -

ما كادت "**بيريل**" تستقر في مقصورة منفردة مع "**دنيس**" حتى تنفست الصعداء .. فقال "**دنيس**" بصوت غريب :

– "**بيريل**" .. هل فقد "**بروس**" صوابه ؟ ..

– لماذا تقول هذا يا "**دنيس**" .

– لأن هذه "التجربة" بدأت تفزعني ..

ثم استرسل في بيانه قائلا بلهجة تشوبها المرارة :

– أعني أنه عندما يندمج "**بروس**" في دور غرامي مفتعل لإثبات مسألة نظرية صرفة ، فهل من المعتاد أن يطلب إلى الفتاة أن تهرب معه وتتزوجه ؟..

صمت "**دنيس**" برهة ، ثم استطرد قائلا :

– هناك تعليل وحيد هو أن "**بروس**" وقع فعلا في حب .. الآنسة "**هربرت**" هذه .. ويعلم الله أني لا ألومه لو كان هذا ..

– نعم .. فقد استرعى نظري أنك تأثرت بها ! ..

فرد "**دنيس**" بصوت أعلى مما يجب :

– لم يحصل شيء كهذا ! .. تذكري أني لم أتبادل كلمة واحدة مع تلك الفتاة، ولم أشاهدها سوى دقائق معدودة !

ظلت "**بيريل**" منزوية في مكانها دون أن تجيب ..

فقال "**دنيس**" بإصرار :

– والمهم الآن هو أنه لابد من وضع حد لمهزلة الدور الذي يمثله "**بروس**" .. إن رب الأسرة في تلك المقصورة يكاد يفقد صوابه .. ستقع متاعب حتما .. وعلى "**بروس**" أن يكف عن المباهاة بجرائم "**بولاي**" التي لم يعرفها إلا من المعلومات التي جاءت عنها في المسرحية .

فقالت "**بيريل**" بهدوء :

– إنه لم يعرف تلك المعلومات من المسرحية .. فهي ليست واردة في المسرحية.

– ما هذا الكلام ؟ .. فراحت الفتاة تقول :

– "**دنيس**" .. هل تذكر تلك الليلة الأخيرة عندما اجتمعنا ثلاثتنا في غرفة "**بروس**" في المسرح ؟ إن "**بروس**" قال في سياق الحديث كلاما لا أزال أذكره وهو هذا : "ثم هناك في مشهد المرأة التي راحت تنظر خلسة من خلال ستائر النافذة ، حيث شاهدت الضحية مخنوقة فوق الفراش ، بينما أخذ "**بولاي**" يشعل سيجارته تحت ضوء المصباح .. هذه هي الحبكة المسرحية التي يعول عليها" .. ألا تذكر هذا الكلام يا "**دنيس**" ؟ ..

– أذكره بالتأكيد .. لكن ما صلته بالموضوع ؟

– إني استغربت هذا الكلام في ذلك الوقت . لكني لم أقل شيئا .. ثم ثارت شكوكي عندما رأيت انزعاج المفتش "**ماسترز**" لدى سماعه نفس هذه الكلمات في الملهى .. وهكذا قلت إن تلك المعلومات واردة في المسرحية .. لكن الحقيقة أنها لم ترد في المسرحية فعلا ..

وفجأة سرى الرعب في نفس "**دنيس فوستر**" حتى هم بأن يقف ، بيد أن "**بيريل**" ردته إلى مكانه بإشارة منها ، قائلة :

– هكذا ترى أن تلك المعلومات لم ترد في المسرحية .. والمفهوم أنها غير معروفة إلا للشاهدة والبوليس ، ولكن "**بروس**" كان يعرفها .. !

وصمتت "**بيريل**" برهة .. ثم عادت إلى الكلام قائلة :

– إن "**بروس**" في الحادية والأربعين من عمره .. وهذا يطابق الأعمار .. ثم لماذا يكره "**بروس**" العمل في السينما إلى هذا الحد ؟ يقول في تعليل ذلك : إن العمل في السينما يفسد خصائص الممثل على المسرح .. لكن أليست الحقيقة هي أن ملامح وجهه لا تعرف على المسرح ، في حين أنها تعرف جيدا في أفلام السينما ؟ ..

ارتفع صوتها وهي تقول له :

– انتظر بالله عليك يا "**دنيس**" قبل أن تقول شيئا ! .. الحقيقة أن شكوكي زادت تلك الليلة في الحانة ، وقد بدا ذلك من حركاتي ، عندما أخذ السيد "**هنري**" يتكلم .. لقد قال ذلك الثعلب العجوز إن الأشياء تبدو مسلية إذا قرأها الإنسان معكوسة .. بل إنه خط بعض الحروف على المائدة لبيان ما يريد .. ألا ترى يا "**دنيس**" أن الحرفين الأولين من اسم "**بروس رانسوم**" هما الحرفان الأولان من اسم "**روجر بولاي**" معكوسين ..

طال الصمت هذه المرة ، ثقيلا رهيبا .. ولما تكلم "**دنيس**" ، كان صوته غريبا أجش ، إذ قال :

– ماذا تريدين أن تقولي بالله عليك ؟ . تعنين أن "**بروس**" هو "**روجر بولاي**" ؟

فأجابت "**بيريل**" وهي تبتلع لعابها بصعوبة :

– أريد أن تثبت لي أنني مجنونة .. لكنني أفكر في هذا الأمر ليلا ونهارا ، دون راحة ، حتى أبوح به لأحد أو أموت !

– لكن هذا تصور مستبعد ! .

– نعم .. إنه مستبعد .. لم أستطع أن أسلم به .. إلا أني ..

ومدت يدها ببطء إلى حقيبتها الملقاة بجانبها على الأريكة وأردفت تقول ..

– إلا أن هناك مسألة "**ملدريد ليونز**" .

– "**ملدريد ليونز**" ؟ .. ماذا عنها ؟

– ألا ترى يا "**دنيس**" ؟ .. كانت "**ملدريد ليونز**" هي التي زارت "**بروس**" في المسرح تلك الليلة .. كانت هي الشخص المجهول الذي أرسل الرسالة ، وسرعان ما أخرجنا "**بروس**" من عنده فور قراءة الرسالة .. إن هذا لم يخطر لي

وقتها بالتأكيد ، فقد أعمتني الغيرة إذ ذاك عن أي شيء آخر .. إن "**بروس**" لا يستطيع الابتعاد عن النساء .. وقد ظننت في ذلك الحين أنه غرام جديد .. لكنه لم يكن كذلك .. لم يكن سوى "**ملدريد ليونز**" .

– انتظري لحظة .. ما الذي يدعو "**ملدريد ليونز**" إلى زيارة "**بروس**" ؟ ..

– آه يا "**دنيس**" ! .. هل نسيت ؟ .. إن "**ملدريد ليونز**" إخصائية في الآلة الكاتبة ، وكان لها مكتب خاص في مصيف (**توركاي**) ..

– وبعد ؟ .

– الراجح أن ظروف الحرب أدت إلى إغلاق مكتبها .. ولعلها انضمت إلى مكتب أكبر مثل "**إثيل ويتمان وشركاه**" وإلى هذا المكتب أرسل "روس" المسرحية لعمل نسخ متعددة منها ..

– وقد قرأت "**ملدريد**" المسرحية تبعا لذلك ؟ .. أهذا ما تقصدين ؟ ..

– إن المسرحية لا تزيد على كونها قطعة بريئة من نسج الخيال .. ولكن من الطبيعي أن تثير فضول "**ملدريد ليونز**" وإذن فهي تسعى إلى "**بروس**" ، بكل براءة ، لترى إن كان يعرف شيئا عن المؤلف .. وفي غرفة "**بروس**" في المسرح، تجد نفسها وجها لوجه مع .. مع قاتل .. مع "**روجر بولاي**" نفسه .

هل تتذكر ملامح وجهها عندما تسللت خارجة من المسرح تلك الليلة ؟

أجل، كان "**دنيس**" يتذكر ذلك .. لقد استعاد خياله الآن صورة المرأة ذات الشعر الأحمر وهي تهرول خارجة من باب المسرح ، وقد لمعت عيناها ببريق انفعال يتراوح بين الخوف والانتصار ..

وقد عجز المفتش "**ماسترز**" عن اللحاق بالآنسة "**ليونز**" في تلك الليلة .. فإنها اختفت في غمار الزحام في طريق "**تشيرنغ كروس**" إلى حيث لا يعلم إلا الله .. وفجأة خطر لـ"**دنيس**" أنه إذا وجدت "**ملدريد ليونز**" ميتة ..

ولكن "**بيريل**" قطعت عليه خواطره بقولها :

– إنهم سيشنقونه .. لا تدعهم بالله عليك يشنقونه ! ..

وهذا هو السبب في أن السيد "**هنري مريفال**" منحه حرية كاملة ، حتى يضع بنفسه الحبل حول عنقه .. إنهم سيشنقونه !

– كفي عن هذا الكلام يا "**بيريل**" ! .

فقالت "**بيريل**" بلوعة شديدة :

– إنهم سيشنقونه ! .. لا تدعهم بالله يشنقونه ! ..

وفقدت كل سيطرة على أعصابها ، فأخذت تنتحب .. فلم يتمالك "**دنيس**" نفسه أن نهض من مقعده وأمسك بمنكبيها وجعل يهزها بعنف حتى زالت عنها النوبة..وقال لها :

– أصغي إلي يا "**بيريل**" ! ..

– نعم ؟ ..

– أريد أن تنظري إلى عيني وأن تقولي إنك لا تصدقين كلمة واحدة من هذا الهذيان !

– لكني لا أصدقه يا "**دنيس**" .. لا أصدقه فعلا !

– إذن لماذا تتصرفين هكذا بحق الشيطان ؟ !!

– لأنه يجوز أن يكون صحيحا .. وإذا كان ..

وفي هذه اللحظة استعاد خياله صورة "**بروس رانسوم**" ، وتذكر تلك النظرات الغامضة التي لمحها تطل من عينيه في مرآة الزينة بغرفة المسرح ، فلم يتمالك أن سرت قشعريرة رعب في عظامه .. ولكن "**بروس**" صديقه .. ولا يمكن أن يكن ذرة من الشك في أمره .. وهكذا راح يحاول الخروج من هذه الظلمات ، قائلا :

– ألا يخطر ببالك يا "**بيريل**" أنه لو صح أن "**بروس**" كان ذلك الشخص ،

فهل يفكر ، أو يقدم . على تمثيل دوره الحقيقي على المسرح ؟ . .

– نعم إنه يفعل هذا . . من باب الغرور .

– الغرور ؟ .

– نعم . . مدفوعا بنزعة المباهاة والغرور الجامحة التي لا يستطيع قاتل من هذا الطراز أن يقاومها . .

– لكن "**بروس**" ليس معروفا بالغرور . .

– لعلك تقصد أنه لا يظهر هذه النزعة . . ثم إن المسرحية تنتهي بإثبات أن بطلها ليس هو "**بولاي**" قط . . وهكذا يضمن لنفسه خط الرجعة . .

– إذا استمر سلوكك على هذا النحو يا "**بيريل**" فإنك ستثيرين قلقي . . إن ما تفكرين فيه شيء مهول مستبعد . ! وإذا تركنا المسرح جانبا ، فهل يعمد "**بولاي**" الحقيقي إلى الظهور في قرية ريفية لتمثيل دوره الحقيقي ؟ . . هل يثير الناس ضده ويتعرض لتعقب البوليس إياه ؟

– لا . . هذا اعتراض وجيه . . اللهم إلا . .

– إنك تسرفين في الخيال يا "**بيريل**" . . إن خيالك هذا يسمم حياتك . ولابد أن تنزعي هذا الهراء من رأسك . . إن "**بولاي**" الحقيقي قد يكون في عداد الأموات . . وعلى أي حال فهو بعيد عن (**أولد بريدج**) بمئات الكيلومترات . . إن "**بولاي**" الحقيقي . . .

وفي هذه اللحظة سمع صوتا جديدا يقول صاحبه :

– معذرة ! . .

لم يسمع أحدهما في غمرة اضطرابهما صوت فتح باب المقصورة . . أما الآن فقد وقف أمامهما في المدخل رجل طويل القامة نحيل العود راح يتطلع إليهما بابتسامة مؤدبة .

كانت هيئته تدل على أنه من ضباط البحرية المتقاعدين .. وكان محياه الباسم ينتهي بلحية قصيرة .. وكان كمه الأيسر مشدودا إلى جيبه مما يدل على أنه فقد ذراعه في الحرب .. وأمسك بيمناه حقيبة سفر عليها بطاقة ، مع حقيبة "**دنيس فوستر**" الصغيرة ..

ولم يلبث الرجل الملتحي أن قال بصوت عذب :

– معذرة عن تطفلي ... لكن هل يمكن أن أسأل يا سيدتي إن كانت هاتان الحقيبتان لك ؟ .. إني وجدتهما في الممشى .

فأجابت "**بيريل**" وقد استعادت هدوءها :

– إن الحقيبة الكبرى لي .. شكرا جزيلا يا سيدي .

وقال "**دنيس**" :

– والصغرى حقيبتي .. إنني آسف إذ نسيتها في الممشى .

فوضع الرجل إحدى الحقيبتين بجانب "**بيريل**" ، وكانت تحمل اسمها وعنوانها إثر عودتها بالباخرة ، ووضع الثانية بجانب "**دنيس**" . ثم استطرد يقول بعد تردد يسير :

– هل لي أن أسأل إن كنت أنت الآنسة "**بيريل وست**" التي أبرقت تطلب حجز غرفتين بفندق "**ليذربوت**" ؟ ..

– نعم ! .. لكن ...

– أنا صاحب الفندق . واسمي "**رينويك**" ... وكنت في المدينة ، مثل كثيرين من أهل القرية ... منهم السيد والسيدة "**هربرت**" وابنتهما ... وكذلك السيد "**تشيترنج**" .. لكني ...

فقاطعته "**بيريل**" قائلة :

– معذرة ..هل السيد "**تشيترنج**" شخص قوي البنية فضولي النظرات؟..

وهل يقرأ كتابا عن فن كتابة المسرحيات ؟ . .

فقال "**رينويك**" بعد تردد :

– إن "**تشيترنج**" يحب الكلام فعلا . . ولا يستطيع حتى أصدق أصدقائه أن ينكروا ذلك . . لكن ما أردت أن أقوله لك يا آنسة "**وست**" هو أني آسف لعدم وجود أماكن خالية في فندق "**ليذربوت**" . . .

فلم تتمالك "**بيريل**" أن وثبت واقفة ، وقالت :

– لكنك استقبلت فعلا . .

وأمسكت "**بيريل**" عن إتمام ما كانت تريد قوله . . فقال "**رينويك**" :

– نعم . . إني استقبلت فعلا أحد النزلاء . . إنه يدعى السيد "**بروس إيجرتون**" ، من "**لندن**" . . لقد خصصت له غرفة نوم وغرفة جلوس . . وأقولها صريحة إني أتمنى لو لم أفعل هذا . . .

فقال "**دنيس**" وقد شعر بجفاف في حلقه :

– آه ! . . وما السبب ؟ . .

– لأني لا أحب أن أراه يرجم بالأحجار حتى الموت .

– يرجم ؟ ! .

– إن بعضهم رماه أمس بحجر من خلف سور حديقة . . وقد أصابه الحجر في صدغه وكاد يلقيه مغمى عليه . . إن الجو هنا لن يكون مشجعا لكما . . ومرة أخرى معذرة لتطفلي عليكما . .

وحياهما باسما ثم اتجه إلى الباب . . فاستوقفته "**بيريل**" ، وقالت له :

– أرجو أن تصدقني إذا قلت إنه من الأهمية البالغة أن ننزل في الفندق . . فهلا يمكن أن تدبر لنا مأوى كيفما اتفق ، حتى ولو لمدة ليلة واحدة ؟ . .

فتردد "**رينويك**" برهة ، ثم قال أخيرا :

– لا بأس .. سأرى ما يمكن عمله في هذا الشأن .. فقط كونا على حذر ..

– ماذا تقصد ؟ ..

– أقصد ما قلته يا آنسة .. كونا على حذر ..

وودعهما بابتسامة عذبة وخرج إلى الممشى وجذب الباب خلفه ، متجها شطر المقصورة التي يشغلها "**تشيترنج**" ..

أما "**بيريل**" فقد لزمت مكانها جامدة برهة .. وما لبثت أن لوحت بذراعيها قائلة بصوت أجش يشف عن الفزع :

– يا إلهي .. ا رحماك يا إلهي ! ..

وسرت في جسدها رعدة هزت كيانها هزا ..

- 8 -

هبط "**دنيس**" و "**بيريل**" من القطار في محطة "**سيكريست**" ، ووقفا برهة يجيلان الطرف في المنطقة المحيطة بهما ...

كانت الساعة تناهز الرابعة والنصف ، وهبت الريح آتية من بحر الشمال مشبعة برائحة الملح .. ولاح لهما الفندق عند حافة الشاطئ وقد نالت عناصر الطبيعة من طلائه الأبيض ونوافذه الخضراء .. وامتدت أرض الجولف متدرجة تخالطها رقاع خضراء .. وخيم الصمت الموحش في أرجاء المنطقة كلها ..

وقال "**دنيس**" فجأة :

– ماذا تنوين أن تقولي لـ"**بروس**" يا "**بيريل**" ؟ ..

– لا أدري ...

– لعلك لن تقولي له شيئا من ذلك الهذيان الذي يزعم به أنه "**بولاي**" ؟ ..

فلم تجب "**بيريل**" .. وهبطا سلما خشبيا وسلكا طريقا أفضى بهما إلى أرض

ملعب الجولف ... وتكلم "**دنيس**" مرة أخرى .. فقال لها :

– أتحبين "**بروس**" إلى هذا الحد يا "**بيريل**" ؟

– نعم .

– وهل تظلين على حبك حتى إذا كان .. ما تعتقدين ؟ فأدارت "**بيريل**" وجها ممتقعا وأجابت :

– إذا صح أنه "**بولاي**" ، فإني سأقتله بيدي ...

– رفقا يا "**بيريل**" ! ..

– إني أعني ما أقول يا "**دنيس**" .. ولا أعرف إن كنت سأجد القوة لتنفيذ هذا العزم ، ولكني سأحاول .. إني عندما أفكر في جميع النساء اللائي فتك بهن .. !

وصمتت فجأة وهي تشير إلى شيء أمامها ...

ذلك أن أول شخص صادفاه في "**سيكريست**" كان السيد "**هنري مريفال**" نفسه ...

أما العجوز فلم يبصرهما أول الأمر .. كان واقفا تحت أغصان شجرة كستناء مواجها ملعب الجولف .. وكان مرتديا بذلة صارخة الألوان ، وبيده كيس به مجموعة مضارب وبينما كان منهمكا في البحث عن كرة جولف اختفت في إحدى الحفر ، إذ ظهر فجأة من خلف شجرة قريبة غريمه الأسكتلندي "**ماكفرجوس**" مدرب الجولف ، واشتبك الاثنان في مناقشة حامية ، كالعادة ، حول قواعد اللعب وأصوله ..

– السيد "**هنري**" ! ..

كانت مفاجأة أثارت ارتباك الرجل العجوز عندما سمع الفتاة تناديه .. واقتربت منه "**بيريل**" قائلة :

– منذ متى أنت هنا .. ؟

– أنا ؟ .. منذ أسبوعين .. كنت ألعب الجولف ..

– أهذا كل ما كنت تفعله ؟ .

– في الحقيقة أني قابلت صديقك "**بروس رانسوم**" مرة أو مرتين في الماضي.. ولكني هنا في إجازة .. هذا كل ما هناك ومرت بهم في هذه اللحظة سيارة أجرة قادمة من طريق "**أولد بريدج**" .. وما لبثت السيارة أن وقفت فجأة ، وأطل منها المفتش "**ماسترز**" الذي حيا الرجل العجوز .. ثم هبط من السيارة وانضم إليهم.

فقال العجوز بلهجة التحفظ :

– "**ماسترز**" .. أيها الثعبان الأملس ! .. إنني لم أكن أتوقع أبدا أن أراك هنا!..

– لم تتوقع أن تراني ؟ .. ماذا كنت تتوقع إذن ، بعد أن كتبت إلي تخبرني أن "**روجر بولاي**" موجود هنا ، رغم كل شيء ؟ ...

خيم صمت عميق .. وبعد برهة قال العجوز :

– إنك تضيع وقتك سدى .. اللهم إلا إذا هبط علي الوحي فجأة ، واستطعت أن أفيدك بشيء ..

– أهذا الشخص هو "**بولاي**" ؟ ..

– آه .. نعم ...

– أيمكنك إثبات ذلك ؟ ..

– أظن ...

– إذن .

ماذا ترانا ننتظر ؟ ..

فأجاب السيد "**هنري**" وهو يحك فكه :

– أنت محتاج يا "**ماسترز**" إلى عدة أشياء تقال لك الآن وفي هذا المكان ..

ورمق "**دنيس**" و "**بيريل**" بنظرة ثابتة ، ثم أردف قائلا :

– ومن العدل أيها الشابان أن تعرفا هذه الأشياء أيضا .

اسمع يا " **ماسترز**" .. هل تحب أن أذكر لك بعض البيانات المفيدة عن المسألة التي نسميها (مشكلة التخلص من الجثة) ؟ ..

– وهل في ذلك شك ؟ ..

فجلس العجوزفوق جذع شجرة ووضع قبعته وحقيبة مضاربه على الأرض، ثم تطلع إلى المفتش قائلا :

– أولا .. لنستعرض أسلوب القاتل العادي الذي يقتل ضحيته (وهي امرأة في الغالب) ثم يخفي الجثة ويتظاهر بأنه لم يرتكب جريمة .. إن هذا القاتل عادة مثال الغباء .. إنه ، في تسع حالات من عشر ، يرتكب نفس الغلطة .. فبدلا من أن يدفن الجثة على مسافة كيلومترات بعيدة عن مقره ، وهو ما يجعله في مأمن، يعمد هذا الغبي إلى دفنها في أرض منزله أو حديقته .. إن هذا الطراز من المجرمين يعتقد ، لسبب غامض ، أنه يغدو أكثر أمنا بإبقاء الجثة قريبا منه .. وأنتم يا رجال البوليس تعرفون هذه القاعدة ، وتتوقعونها .. ولكن يحدث أحيانا يا بني أن يأتي قاتل ليس من هذا الطراز الغبي ... ولنأخذ "**بولاي**" مثلا .. لقد أثرت أكبر اهتمامي بتلك البيانات التي زودتني بها عن ماضي حياته، قبل أن يتخذ قتل النساء حرفة له ! .. إن "**بولاي**" ينتمي إلى أسرة طيبة، مات أفرادها جميعا .. فقد ولد في جزيزة "**جامايكا**" ، وكان أبوه حاكم الجزيرة على مدى أعوام طويلة .. ودرس القانون في شبابه حتى برع فيه على نحو غريب . وكان كذلك ممثلا هاويا من الطراز الأول .. ولكن المهم أنه درس القانون كما قلت .. درسه وبرع فيه بحيث غدا إخصائيا في استنباط الألاعيب والحيل للتخلص من طائلة القانون . إنها ظاهرة نفسية .. مثل ظاهرة احتراف

قتل النساء .. فالحقيقة أنه عانى – في صباه كما يبدو – مركب نقص شنيعا ، فيما يختص بالنساء ..

فقالت "**بيريل**" بدهشة :

– مركب نقص فيما يختص بالنساء ؟ ..

– نعم .. كان يخيل إليه أنهن لا يعرنه أي اهتمام .. ولكنه تورط فعلا في مغامرة مع امرأة ، وكانت زنجية .. وحدثت فضيحة كان لابد من كتمانها .. وهكذا هرب إلى "**انجلترا**" واختفى عن الأنظار .. ألا ترى يا "**ماسترز**" أن هذه كلها بيانات طريفة مفيدة ؟ ..

فقال المفتش بحدة :

– طريفة ؟ .. ربما . لكن البيانات لا ترشدنا إلى الكيفية التي تخلص بها من الجثث ..

– هذا رأيك .. ألا ترى أن فيها ما يساعدنا ؟ ..

– نعم يا سيدي ..

– في هذه الحالة إذن ننتقل إلى النقطة الثانية .. ولننس مؤقتا ضحايا الجرائم الثلاث ، "**أنجيلا فيبس**" و"**إليزابيث موسنار**" و "**أندريه كوبر**" ، ولنركز اهتمامنا في الجريمة البشعة التي ارتكبت في ضاحية (**توركاي**) منذ أحد عشر عاما ...

" في هذه الجريمة عمد "**بولاي**" ، المنتحل اسم "**ر . بندكت**" ، إلى استئجار فيلا مفروشة حل فيها مع زوجة جديدة . وقد حدث ما أثار ارتياب البوليس المحلي – في أمره حتى وضعت الفيلا تحت المراقبة الليلية .. وفي ليلة السادس من شهر تموز (يوليو) خنق زير النساء هذا زوجته السيدة "**بندكت**" وغادر الفيلا في اليوم التالي .. أليست هذه البيانات مطابقة للواقع .. " ؟ .

– هو ما تقول !! ..

فانحنى العجوز إلى الأمام وقال بجهد كبير:

– والآن أتحداك يا "**ماسترز**" أن تقرأ هذه البيانات ثم لا تستخلص منها شيئا واحدا .. لقد كان "**بولاي**" يعلم أنه موضوع تحت مراقبة البوليس .. ومع ذلك يمضي في ارتكاب جريمته بهمة ونشاط ، ولا يهتم حتى بإسدال ستائر النافذة بإحكام .. أواه يا بني ! أليس لهذا دلالته في نظرك ؟ .

والنقطة الثالثة بعد ذلك تتصل بالزوجة التي اختفت من الوجود .. من كانت هذه الزوجة يا "**ماسترز**" ؟ .. وما اسمها ؟ .. وأين عقد زواجهما ؟ . وفي أي بنك كانت تودع أموالها ، إن كان لها مال ؟ .. إنني بحثت في جميع السجلات التي أرسلتها إلي وقتلتها بحثا وفحصا ، فلم أجد جوابا شافيا لهذه الأسئلة كلها ..

ولزم العجوز الصمت برهة ، ثم استطرد في النهاية قائلا :

– اسمع يا "**ماسترز**" .. إن هؤلاء السفاكين بالجملة الذين يتخذون ضحاياهم من النساء ، متشابهون جميعا .. إنهم متشابهون في شيء واحد، هو وجود امرأة واحدة لا يقتلونها ، بين عديد من الضحايا .. أعني يا بني توجد دائما امرأة يعودون إليها .. امرأة يعاشرونها ويعيشون معها في الفترة ما بين جريمة وأخرى .. امرأة تصفح عنهم حتى لو وقفوا أمام المحكمة .. و"**روجر بولاي**" هو واحد من هؤلاء .

وخيم صمت ثقيل لا نهاية له ..

ووقف المفتش "**ماسترز**" منفعلا مترددا ، وما لبث أن تنحنح وقال بلهجة التهكم :

– وهل عندك نقط أخرى تبين لنا كيف تم التخلص من الجثة .. ؟

فأجاب العجوز برصانة :

– بقيت نقطة خامسة وأخيرة .. إنني أشفق عليك من هذه النقطة يا "**ماسترز**" لأنها ستكون بمثابة صدمة لك .. لكنني سأقولها لك وجها لوجه .. إذا وضعت يدك على "**روجر بولاي**" هذه اللحظة ، فهل أنت متأكد من إمكان إدانته؟..

فقال "**ماسترز**" وقد استرد أنفاسه المحتبسة :

– حتى مع وجود "**ملدريد ليونز**" كشاهدة ؟ ..

– حتى مع وجود "**ملدريد ليونز**" كشاهدة .. إن النيابة يا بني قد لاتقوم برفع الدعوى ضد "**بولاي**" .. هذا ممكن .. لكن إذا فعلت ، فإن محامي المتهم سيركز دفاعه قائلا إنه لم يقم الدليل على وجود جثة امرأة ، وجثة ميتة فعلا، ولهذا لن يمكن الحكم بإدانته .

فقال المفتش بصوت خافت :

– فهمت يا سيدي .. ومعنى هذا أن الحظ سيكون في جانب "**بولاي**" ، كالعادة ؟ ..

– أنا آسف يا "**ماسترز**" .. هذا هو الواقع .

– وهل معنى هذا أنه سيفلت من أيدينا إلى الأبد ؟ .

– لا أظن يا بني .. إنني استطعت منذ البداية أن أتنبأ بجوهر القضية .. وقد جاءت البيانات التي زودتني بها عن ماضيه مؤيدة لنظرياتي .. وأحب أن أطمئنك فأقول إنه ألقى بنفسه طائعا بين أيدينا .. إن غروره جعله يربط مصيره بتلك المسرحية .. وهذا ما جعلني أعد له الفخ الذي أعددته له .. وغلطة واحدة يرتكبها ستؤدي إلى قصفه كما ينقصف هذا العود في يدي..

- 9 -

فوجئت "**بيريل**" عند دخولها بهو الفندق مع "**دنيس**" برؤية "**دافني هربرت**" جالسة .. ولما استفهمت من الخادم عما إذا كان السيد "**بروس إيجرتون**" موجودا في غرفته "ويلاحظ أنها استخدمت الاسم المستعار الذي اختاره "**بروس**"" . قيل لها إنه في الخارج ، وإن الفتاة الجالسة تنتظره بدورها ..

ولكن "**بيريل**" لم تستسلم للأمر الواقع ، وقالت للخادم إنها ستصعد إلى غرفة السيد "**إيجرتون**" لانتظار عودته مع رفيقها ، لأنهما من خاصة أصدقائه، فلم يملك الخادم إلا أن يرشدهما إلى مكان الغرفة ..

كانت غرفة استقبال في الواقع .. وشاهدا بداخلها حقيبة بها مجموعة من مضارب الجولف في أحد الأركان .. وكان المكتب الصغير بالغرفة تعلوه آلة كاتبة صغيرة ومجموعة رسائل لم تتم الإجابة عنها .. وتناثرت فوق المقاعد نسخ من المجلات المختلفة منها "**راديو تيمس**" ، وكتاب ضخم عنوانه (العبقرية والإجرام) ..

ورفعت "**بيريل**" صوتها تنادي "**بروس**" ، غير عابئة باحتجاج "**دنيس**" ، قائلة :

- إنه هنا ! أنا متأكدة أنه هنا ! ..

وفعلا لم تنقض ثوان حتى سمعت حركة من خلف باب إلى اليمين يفضي ولا شك إلى غرفة نوم "**بروس**" ، ثم أدير المقبض ، ولاح لهما "**بروس**" مرتديا (الروب دي شامبر) الحريري الذي كان يرتديه من قبل في غرفته بالمسرح ..

كان "**بروس**" هادئا صافي الملامح ، وتشاغل برهة بإشعال سيجارة بعد أن حياهما بإيجاز .. ثم قال أخيرا :

- الظاهر أني بالغت في تمثيل دوري أكثر من اللازم .. يا لها من تجربة تورطت

فيها ! . .

– نعم . . خصوصا عندما عرضت عليك تلك الفتاة أن تهرب معك وتتزوجك ! . .

فقال بصدق وحرارة :

– إنني أحبها . . الحقيقة أني وقعت في الحب صدقا هذه المرة ! . .

وتهالك في مقعد ووضع رأسه بين يديه . . وبعد فترة صمت قال :

– أنا شخص خسيس يا "**بيريل**" . . كان يجب أن أكتب إليك بهذا . . إن "**دافني**" بلغ من معاونتها لي أنها اختلست الآلة الكاتبة الصغيرة الخاصة بأبيها لكي أتمكن من الرد على رسائلي المتراكمة . . . يالها من فتاة بديعة . . !

ثم التفت إلى "**دنيس**" قائلا :

– لقد كنت على حق عندما قلت لي إنني لاأستطيع أن ألعب بمشاعر الناس وحياتهم على تلك الصورة . . لقد جلبت كل هذا على نفسي بيدي . . لقد أصبح الجميع هنا ، بما فيهم الوالد و الأم و الفتاة ، يعتقدون أنني "**روجر بولاي**" .

فقالت "**بيريل**" :

ولماذا لاتقول لهم إنك لست هذا الشخص ؟

– أصارحك أني كنت أنوي هذا . . كنت أنوي أن أضع اليوم حدا للمهزلة كلها . . لولا أن في غرفة نومي الآن . . جثة امرأة مقتولة .

- 10 -

كرر "**بروس**" كلامه قائلا :

– إنها ميتة . . وأظن أنها ماتت خنقا . .

فصاحت "**بيريل**" :

– هي "**ملدريد ليونز**" ! .. أليس كذلك ؟.. بلى ، هي "**ملدريد ليونز**"

– نعم .. إنها هي .. ماذا تعرفين عن "**ملدريد ليونز**" ؟

ولكن "**بيـريل**" اندفعت إلى باب غـرفة النوم غـيـر عـابئـة بمحـاولة "**بروس**" منعـهـا.. ولما فتـحـت البـاب لمحت في الضـوء اليـسيـر المنبعث من النـوافـذ الأربع هيكلا قابعا في مقعد وثير قرب الفراش .. وفي هذه اللحظة ومض ضوء سيارة قـادمة ، فكشف الوجـه و الشـعر الأحـمر لذلك الهـيكل القـابع في المقـعـد ، فلم تتمالك "**بيريل**" نفسها أن تراجعت قائلة :

– يالك من أحـمق يا "**بروس**" .. إن شـهـادة هذه المرأة ضـدك لم تكـن تكفي لإدانتك .. هكذا قـال لنا السيـد "**هنري مـريفـال**" .. لكنك قتلتـهـا ، وسـوف يشنقونك ما في هذا شك فقال "**بروس**" بصوت أجش :

– ماهذا الهـراء يا "**بيريل**" . هل فقدت صوابك ؟ . أنا "**بروس رانسوم**" .. إننا دبرنا هذه العملية معا ! . إنها كانت فكرتك ألا تذكرين ؟..

فقالت له بعنف :

– أنت "**بروس رانسوم**" الآن .. لكن من كنت قبل ذلك ؟ .

ألم تكن في "**جـامـايكا**" من قبل ؟ .. "**جـامـايكا**" ، التي جاء منهـا "**روجر بولاي**" !..

فقال "**بروس**" بلهجة الارتياع :

– يا إلهي ! .. لعلك تظنين أني ذلك الشخص فعلا ؟

والواقع أن نبـرات صوته كـانت تشـف عن أبلغ الصـدق والإخـلاص حتى اقتنع "**دنيس**" بأنه لا يكذب ولا يموه .. بينمـا قـالـت "**بيـريل**" وهي تحـدق إليـه مرتبكة :

– هناك اسمك .. الحرفان الأولان "**ر . ب**" بالمعكوس ثم هناك تلك المعلومات

التي كنت تعرفها ولم تكن واردة في المسرحية . .

– بالمعكوس ! ؟

ردد "**بروس**" هذه الكلمة وراح يضحك عاليا ضحكات هيستيرية حتى دمعت عيناه وأمسك بدرج المكتب حفظا لتوازنه . . وبتأثير هذه الحركة انفتح الدرج ولمح فيه "**دنيس**" بضع صفحات مكتوبة على الآلة الكاتبة كانت أعلاها تحمل رقم 7 ، كما لمح ورقة تغليف مثنية مطبوعا عليها بحروف باهتة هذه الكلمات : "مشرب الشاي القديم – **أولد بريدج**" . .

وهتف "**بروس**" مرة أخرى :

– هل خطر لك بالله أني . . ؟ لا بأس . . اسمعوا إذن . . إن "**ملدريد ليونز**" كانت على موعد معي هنا عصر اليوم . . إنها كتبت إلي تخبرني أنها ستركب القطار الذي يصل بها إلى "**سيكريست**" في الساعة الرابعة والربع ، وأنها ستجتاز طريق ملعب الجولف إلى هنا لكنها لم تصل . . لقد انتظرتها حتى الخامسة إلا الربع ، ثم خرجت للسباحة عن طريق السلم الخارجي المتصل بغرفة نومي ، وعدت إلى هنا من نفس الطريق حيث ارتديت ملابسي ولما فتحت الدولاب لإخراج (الروب دي شامبر) ، سقطت الجثة من داخله . .

ومر "**بروس**" بيده أمام عينيه ، وأردف :

– يا إلهي ! . . لابد أنها كانت على شاطئ البحر أيضا !

– ولماذا ؟ .

– كان وجهها مغطى بالرمل . . إن القاتل أطبق بيديه على عنقها ثم دس وجهها في الرمال حتى اختنقت . . كان الرمل في أسنانها وأنفها وعينيها . . كانت العينان جاحظتين والرمل يغشاهما . . يا له من مشهد فظيع لن أنساه ما عشت ! . .

وأراهما المنديل الذي أزال به الرمال عن وجه المرأة القتيل ثم رده إلى جيبه قائلا :

– ثم كان حضوركما على الأثر .. ما الذي أخركما ؟ .

– لقد كنا نتبادل الحديث مع السيد "**هنري مريفال**" والمفتش "**ماسترز**" .. إنهما يعتقدان يا "**بروس**" أنك "**روجر بولاي**" ..

فقال "**بروس**" وقد اشتد شحوب وجهه :

– هذا كذب ! ..

– ليس كذبا .. إن السيد "**هنري**" ..

– أنا أعلم أن السيد "**هنري**" هنا . إني تحدثت معه .. وهو لا يؤمن بحرف من هذا الذي تقولان .. لكن المهم الآن هو أنه إذا ضبطت هذه الجثة عندي ، فستكون النتيجة ..

وفي هذه اللحظة سمعت طرقة خفيفة على الباب الخارجي وانفتح الباب على الأثر .. وبدت منه "**دافني هربرت**" ، يتبعها السيد "**جوناثان هربرت**" ..

كان الباب الموصل إلى غرفة النوم مفتوحا .. وقد همت "**بيريل**" أن تغلقه لحجب الجثة عن القادمين ، لكنها أمسكت لئلا تثير الشبهة ، واعتمدت على الظلام المنتشر في الغرفة ودخل "**هربرت**" الغرفة في أثر فتاته متحفزا متوعدا، لكن "**دافني**" أسرعت بالوقوف إلى جانب "**بروس**" وأمسكت بذراعه .. فقال الرجل وقد غشيت وجهه سحابة وجوم :

– بالأمس ذهبت مع "**دافني**" وأمها إلى "**لندن**" ونحن نتصور أن هذا سيصرف تفكيرها إلى ناحية أخرى .. ولكنها أصرت على العودة اليوم .. والواقع أننا لم نكد نصل إلى "**أولد بريدج**" حتى وثبت من القطار وابتعدت بسرعة .. ولم يكن عندي شك في وجهتها .. وهكذا تبعتها إلى هنا ظنا مني

أني أستطيع . .

وكف الرجل عن إتمام كلامه وهو يتطلع إلى "**بيريل**" و "**دنيس**" محرجا . . فقدمهما "**بروس**" إليه ، وأردف يخاطب "**دنيس**" :

– قل للسيد "**هربرت**" من أنا في الحقيقة . .

فتردد "**دنيس**" أول الأمر ، لكنه قال بعد إلحاح "**بروس**" :

– الحقيقة يا سيد "**هربرت**" أن هذا الرجل الذي تعرفه باسم "**بروس إيجرتون**" ، ما هو إلا "**بروس رانسوم**" الممثل . ومنذ نحو شهر قامت مشكلة حول نقطة معينة ، هي ماذا يكون شعور الناس إذا تظاهر إنسان ما بأنه قاتل مشهور ثم كشف لهم بعد ذلك أنه لم يكن كما زعم ؟

وبعبارات موجزة شرح "**دنيس**" طبيعة الموقف . . وعلى الأثر خيم صمت ثقيل . . واختلس "**دنيس**" نظرة إلى ناحية "**دافني**" فرآها تتراجع . . بينما قال "**هربرت**" بهدوء :

– فهمت . . إذن فقد كان كل شيء ، بما في ذلك التحبب إلى "**دافني**" ، خطة مدبرة .

حاول "**بروس**" أن يتكلم ، ولكن "**هربرت**" تقدم نحوه بهدوء وصوب إلى وجهه لكمة عنيفة لو لم يتفاداها بيسراه لهشمت وجهه ، وقال للرجل :

– لا أريد أن أؤذيك . . فلا تكرر هذا مرة أخرى . . وإن كنت أستحق ذلك . .

– بل تستحق أشد من هذا . . ولو أنني كنت أصغر مما أنا سنا للقنتك درسا لن تنساه . . هلمي بنا يا "**دافني**" . .

فهتف "**بروس**" يخاطب الفتاة :

– "**دافني**" ! . . ألا تحبينني ؟ . .

ولكن الفتاة قالت وهي في أشد الإعياء :

– لا أعرف .. أريد أن أفكر .. إني أحببتك إلى حد العشق .. وكنت أظن أكثر الوقت أن شيئا عن التمثيل والمسرح يقترن بك ، لكني لم أهتم بهذا ، حتى حدث ما سمعته الآن ! ..

فقال "**بروس**" وهو يتقدم خطوة نحوها :

– ليس هذا من التمثيل في شيء يا "**دافني**" .. لقد بدأت المسألة تمثيلا فعلا، ولكنها تحولت إلى شيء آخر .. إني كنت أعني كل كلمة قلتها لك ..

وإزاء لهجة الإخلاص والصدق التي شاعت في كلماته وقفت الفتاة مترددة برهة ، ولكنها لم تلبث أن خاطبت "**هربرت**" قائلة :

– هيا بنا الآن ..

ولما صارت الفتاة عند الباب قال لها "**بروس**" :

– هناك سبب قاهر يمنعني من الذهاب معك الآن يا "**دافني**" لكني سأتصل بك تليفونيا صباح الغد ، وأثبت لك أنك تظلمينني بسوء ظنك في ..

فقال "**هربرت**" :

– إذا حاولت الاتصال بابنتي ، فسأقتلك ..

ووقف "**بروس**" يحدق إلى الباب الذي أغلق خلفهما .. وأخيرا قالت "**بيريل**" :

– هل رأيت الآن كيف كان تأثير الخاتمة في نفس كل منهما ! ..

– اسمعي يا "**بيريل**" .. لعلك لا تصدقين الآن ذلك الهراء الذي كنت تقولينه ، عن ارتيابك في حقيقة شخصيتي ؟ ..

– لا أدري ماذا أقول يا "**بروس**" .. الحقيقة أني عندما أكون بعيدة عنك تنتابني أفظع التصورات .. وعندما أراك من جديد ، لا تكون في نظري إلا "**بروس رانسوم**" الذي عرفته طوال ذلك الزمن ! ..

– إذن هل تفعلين شيئا من أجلي ؟ .. يجب ألا تغادر "**دافني**" ووالدها الفندق لمدة نصف ساعة .. أريد أن تلحقي بهما يا "**بيريل**" وتحتجزيهما بأية حجة تنتحلينها .. هلا فعلت ذلك وبكل سرعة ؟ .

– ولماذا أفعل ذلك ؟ .

– لأني أريد أن أستعير سيارة "**دافني**" وأبتعد من هنا قبل أن يعرفوا أني ذهبت .. أصغي إلي يا "**بيريل**" .. إذا حالفني الحظ فسيكون بوسعي في خلال ساعات قلائل أن أفعل شيئا يجعل "**دافني**" تعانقني ووالدها يصافحني بدلا من محاولة الاعتداء علي .. إن الله لن يتخلى عني بعد أن رماني النحس بتلك الجثة ..

فقبلت الفتاة أخيرا ، ولما أرادت أن تصحب "**دنيس**" اعترض "**بروس**" قائلا :

– لا يمكنني الاستغناء عن "**دنيس**" .. أنا محتاج إلى مساعدته لي في مسألة أخرى ..

فقال "**دنيس**" :

– مهلا ! .. ما هذه المسألة ؟ .

– سنتعاون معا أيها الصديق في التخلص من الجثة ! عندي طريقة مضمونة للخلاص منها ! .

- 11 -

هتفت "**بيريل**" :

– التخلص من الجثة ؟ ! بنفس الطريقة التي كان "**بولاي**" يتخلص بها من الجثث ؟ ..

– لا بالتأكيد .. لا تكوني بلهاء ! .. كنت أفكر في مدرسة التدريب

العسكري القديمة و . .

– إن "**بولاي**" في "**أولد بريدج** " . . هذه حقيقة . . وقد قرر السيد "**هنري مريفال**" هذا . .

– نعم يا فتاتي . . "**بولاي**" موجود في "**أولد بريدج** " دون شك . . هذه حقيقة عرفتها طول الوقت . . وهذا هو السبب في وجودي هنا الآن . . ألا تفهمين ؟ . إن "**بولاي**" هو الذي كتب المسرحية .

– تعني المسرحية التي . .

– المسرحية التي تفضح أمره ، وتفضح سرا أو اثنين !

– لكن هذه هي المشكلة . . إن المسرحية لا تكشف عن أية أسرار ! . .

فقال "**بروس**" وهو يبتسم انتصارا :

– المسرحية لا تكشف الآن عن أسرار لأني أعدت كتابة أجزاء منها قبل السماح لأي إنسان بالاطلاع عليها . . انظري .

وجذب درج المكتب الذي فتحه من قبل ، وكشف بداخله عن مجموعة صفحات مكتوبة على الآلة الكاتبة ، فوق ورق مثني للتغليف . . واستطرد يقول :

– إن هذه الصفحات من النسخة الأصلية . . وقد سجلتها عند موثق العقود . . هذه صفحة 7 من الفصل الأول وهذه صفحة 4 من الفصل الثاني . . وهاتان صفحتان 28 و 36 من الفصل الثالث . . هنا وصف لجريمة "**بولاي**" ، وهو ما جعلني أتأكد من أن المؤلف هو القاتل . . وهنا وصف لمقتل "**أندريه كوبر**" . . وهنا كلام كثير عن الجريمة الأخيرة مع إشارات إلى الفتاة ذات الشعر الأحمر التي نالت أجرها عن الكتابة ورقة مالية رديئة وعادت إلى الفيلا وشاهدت القاتل من النافذة وهو منهمك في جريمته . . انظري إليها جميعا . .

فامتثلت "**بيريل**" .. بينما مضى في حديثه قائلا :

– هل تتذكرين قولك في ليلتنا الأخيرة في غرفتي بالمسرح إن بعض صفحات النسخة الأصلية مكتوبة على ورق مختلف ؟

لقد خطر لك وقتذاك أن المؤلف غير رأيه في بعض مواضع المسرحية .. لكن الحقيقة غير ذلك .. إنني أنا الذي غيرت الصفحات ، إذ كتبت مادة أخرى بحيث لا يستطيع من يقرأ المسرحية أن يستنتج ما استنتجته أنا .

– تعني ؟ . .

ثم أردف قائلا بلهجة هيستيرية :

– والآن يا "**بيريل**" لابد لي من استعارة سيارة " **دافني** " حالا قبل ابتعادها، وإلا فشلنا جميعا .. فهلا أسرعت لنجدتي ؟ .

فقالت "**بيريل**" وقد صارت أشد اقتناعا ببراءته :

– سأفعل ما تريد .. اعتمد علي .

وهرولت خارجة من الغرفة .. فتنفس " **بروس** " الصعداء والتفت إلى " **دنيس**" قائلا :

– هل فهمت الآن أيها الصديق ؟ .. لكن الساعة الآن تقترب من السادسة ولابد لنا من إبعاد الجثة من هنا قبل الساعة السادسة وهو موعد امتلاء البار بالرواد ..

وقاده "**بروس**" عبر غرفة النوم إلى باب أفضى بهما إلى شرفة صغيرة ينحدر منها سلم خشبي ينتهي بفناء مكسو بالحصى ، وقفت فيه سيارة ذات مقعدين كان نورها الأمامي مضاء .. وقد همس "**بروس**" مبتهجا :

– هذه سيارة "**دافني**" .. إن "**بيريل**" نجحت في حجز الفتاة مع والدها في داخل الفندق ..

وطلب إليه "**بروس**" أن يهبط إلى مكان السيارة ويطفئ نورها ويقترب بها من مكان السلم .. ولما اعترض "**دنيس**" وأبدى نفوره من الاشتراك في هذه العملية الخطيرة التي قد تنتهي بهما إلى البوليس . ناشده "**بروس**" أن يخف لنجدته في هذه المحنة لأنه يجهل قيادة السيارات ، مؤكدا له أنه سيخفي الجثة في مكان أمين لا يمكن أن يفطن إليه أحد حتى ولو فتش عنها فيه ، لكي يتهيأ له إتمام خطته لاقتناص "**بولاي**" .

هكذا امتثل "**دنيس**" .. وهبط السلم ، وتسلل إلى مكان السيارة .. وبعد جهد خارق استطاع أن يقترب بها من نهاية السلم .. ولما تطلع إلى الشرفة لمح "**بروس**" يهبط حاملا الجثة بين يديه .. فخف إلى مساعدته .. وتعاون الاثنان في حشرها في المقعد الخلفي .. وغطياها بسجادة صغيرة .. وأخيرا همس "**دنيس**" :

– اركب يا هذا ودعنا ننته من هذه المهمة اللعينة .

– مهلا يا بني .. كيف يمكن أن نمضي بالسيارة في البلدة وأنا بهذا الروب ؟ لو استوقفنا أحد لكان الموقف غريبا .. لحظة واحدة حتى أرتدي حلتي .

ارتقى "**بروس**" السلم مسرعا .. ووقف "**دنيس**" في الظلام يحصي الثواني وكأنها الساعات .. وفي هذه اللحظة انبعث من خلفه صوت يقول :

– السيد "**فوستر**" ؟ ..

كان المتكلم هو الكابتن "**رينويك**" صاحب الفندق ..

- 12 -

لو أن أحدا آخر في مكان "**دنيس**" لوثب من وقع هذه المفاجأة . ولكنه تمالك نفسه ، وأغلق باب السيارة بهدوء ، وواجه الكابتن "**رينويك**" الذي كان يقترب منه حول ركن المبنى قائلا :

– نعم ؟ . .

– لي كلمة معك . .

قال الرجل هذا وعينه تنظر إلى السيارة نظرة ارتسمت فيها علامة استفهام . . فضحك "**دنيس**" قائلا :

– هذه سيارة الآنسة "**هربرت**" . . وقد كلفني السيد "**إيجرتون**" أن أحضر له شيئا من المقعد الخلفي . . لكني لم أجد ما يريده . .

فقال الكابتن "**رينويك**" وهو يتطلع إلى السلم الخشبي :

– آه . . هل عاد السيد "**إيجرتون**" إذن ؟ . .

– نعم . .

– لا بأس . . لقد أردت أن أكلمك في موضوع الغرفة التي تطلبها في الفندق . . ويؤسفني أن أقول إني لم أجد غير مكتبي . . لكن هذا ليس هو هدفي الأصلي . . إن السيد "**جوناثان هربرت**" يريد التحدث معك في صالة الفندق حالا . . لأمر مهم . .

كان موقفا رهيبا . لكن لم يكن أمامه سوى العمل على كسب الوقت حتى يجد فرصة للاتصال بـ"**بروس**" من جديد .

هكذا تبع "**دنيس**" صاحب الفندق إلى البهو . . وفي أحد الأركان شاهد "**دافني**" ووالديها و "**بيريل**" جالسين حول مائدة صغيرة وكانت الفتاتان منهمكتين في حديث جاد . . وما كاد "**هربرت**" يبصره حتى ابتدره قائلا :

– إن الآنسة "**وست**" ذكرت كلاما خطيرا أريد أن أسمع منك تأكيدا أو نفيا له . . لقد فهمنا أن صديقنا نزيل الغرفة العليا هو "**بروس رانسوم**" الممثل . . فهمنا هذا وتقبلناه .

لكن الآنسة " **وست**" تذهب إلى أبعد من هذا .. إنها تقول : إن السفاح "**روجر بولاي**" موجود في "**أولد بريدج** " ، وإن السيد "**رانسوم**" ما جاء إلى هنا إلا لاقتناصه .. فهل هذا صحيح يا سيد "**فوستر**" ؟

فقالت "**دافني**" تخاطب "**دنيس**" وقد لمعت عيناها :

– معنى هذا أننا ظلمنا السيد "**رانسوم**" .. ولكن أين الدليل على هذا كله؟..

وفي هذه اللحظة تدخل صوت يقول صاحبه :

– هل تسمحون أن أرد على هذا السؤال ؟ .

كان المتكلم هو السيد "**هنري مريفال**" الذي دخل في هذه اللحظة بهيئته العجيبة .. وقد أدنى مقعدا وجلس على مقربة منهم . فهتف "**جوناثان هربرت**" :

– "**مريفال**" ؟ .. "**مريفال**" .. لم أعرف أنك هنا ؟ .

– معذرة . إني تكتمت وجودي .. نزلت في فندق "الأوز الذهبي" في "**أولد بريدج**" .

– إننا في ورطة يا صديقي .. لقد تبين أن السفاح المزعوم هو "**بروس رانسوم**" .. و"**دافني**" تحبه . ماذا كنت تقول عند دخولك الآن ؟ .

فجعل "**هنري مريفال**" يقول بصوت سمعه جميع الموجودين :

– كنت أتكلم عن "**روجر بولاي**" .. إن "**بولاي**" دفعه الغرور إلى تأليف مسرحية عن تاريخ حياته وأرسلها إلى "**بروس رانسوم**" ..ورغبة في إبعاد الشبهة عن نفسه وقعها باسم مستعار وأعطى عنوانا زائفا ، وأرسلها بالبريد من "**لندن**" .

ولكن الأبله وضع المسرحية في غلاف يحمل هذا الشعار : "مشرب الشاي

القديم – **أولد بريدج**" .

في هذه اللحظة تذكر "**دنيس**" أنه شاهد هذا الغلاف مثنيا في درج المكتب في غرفة "**بروس**" بالفندق ، مع الصفحات الأخرى المكتوبة على الآلة الكاتبة .. وفي هذا كله أكبر الدليل على أن "**بروس**" لم يذكر سوى الحقيقة .. ذلك بينما استطرد السيد "**هنري مريفال**" يقول :

– إن "**بروس رانسوم**" لم يكن في حاجة إلى ذكاء خارق لكي يستنتج أن مؤلف المسرحية موجود في "**أولد بريدج** " ، أو قريب منها .. وقد صح استنتاجه .. "**بولاي**" موجود هنا .. وهذا ما يسبب جنوني .. أنا وصديقي المفتش "**ماسترز**" فقالت "**بيريل**" وقد فطنت إلى معنى خفي وراء لهجته :

– وما سبب هذا الجنون ؟ .

– أعتقد أنا وصديقي المفتش أن "**بولاي**" ارتكب جريمة جديدة ..

خيم سكون عميق في البهو .. ولم يتمالك "**هربرت**" أن هتف وهو يضع يده على ابنته وكأنما ليحميها :

– في "**أولد بريدج** " ؟ .. هذا شيء مروع ! .. ومن القتيل ؟

– فتاة تدعى "**ملدريد ليونز**" . إنها كانت قادمة إلى هنا للتعرف على "**روجر بولاي**" . لكنها كانت محتاطة .. فقد كتبت إلى البوليس المحلي تقول إنها إذا لم تتصل بهم تليفونيا حتى الساعة الخامسة مساء اليوم ، فعليهم أن يبحثوا عن السر الخطير ..

– وهل ثبت أنها قتلت فعلا ؟ .

– إننا لم نعثر على جثتها بعد .. لكن "**بولاي**" إخصائي في إخفاء الجثث .. ومن توجد عنده الجثة سيكون موقفه عسيرا !

شعر "**دنيس**" بقلبه يكف عن الحركة . إن كل ما قاله السيد "**هنري مريفال**"

يثبت براءة "**بروس**" بصورة قاطعة .. وهكذا قال فجأة :

– أصغ إلي يا سيدي .. لقد أخبرنا "**بروس**" أنه تحدث معك . فهل هذا صحيح ؟ ..

– نعم يا بني .

– وهل "**بروس**" بريء إذن ؟ .. ألست مطلعا على كل ما فعله ؟ .. فأجاب العجوز بعد تردد يسير :

– هو ذلك يا بني إنني مطلع على كل أفعاله .

– انتظر هنا إذن ! .. انتظر دقيقة واحدة .

واندفع "**دنيس**" إلى ناحية السلم قبل أن يفوه أحد بكلمة .

وما كاد يصل إلى غرفة "**بروس**" حتى دفع بابها وناداه بأعلى صوته .. ولكنه رأى الباب الموصل إلى غرفة النوم والباب المؤدي إلى السلم الخشبي مفتوحين، واسترعى نظره وجود ورقة مثبتة في أعلى الآلة الكاتبة وقد انطبع عليها اسمه بحروف كبيرة .. فانقض عليها وقرأ فيها هذه الكلمات :

" آسف يا بني ، لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك .. سأحاول إتمام المهمة بنفسي – "**بروس**" .

كان معنى هذا أن "**بروس**" قرر أن يقود السيارة بنفسه رغم أنه لا يعرف عن القيادة إلا بعض المعلومات العامة ، وفي هذا ولا ريب كارثة محققة .. وهكذا اندفع "**دنيس**" إلى الشرفة ومنها إلى السلم الخشبي .. فوقع نظره في اللحظة الأخيرة على سيارة "**دافني**" وقد راح "**بروس**" يندفع بها متخبطا في الطريق المؤدي إلى "**أولد بريدج** " ، حتى غاب عن الأنظار .

وقف "**دنيس**" مكانه جامدا مذهولا وهو يتوقع أسوأ النتائج .. وفي هذه اللحظة شعر بالضوء يغمر غرفة النوم ، ولما استدار ورجع خطوتين ، أبصر السيد

"**هنري مريفال**" واقفا بالباب الموصل بين الغرفتين يدخن سيجاره الضخم ولما رآه قال له :

– ألا يحسن يا بني أن تخبرني بما حدث هنا ؟ . .

- 13 -

قال "**دنيس**" بلهجة اليائس وهو يغلق باب الشرفة :

– أخبرك بما يدور هنا ؟ لست أفهم قصدك ! . .

فقال العجوز وهو يشير إلى بعض مشابك الشعر التي سقطت من الجثة في أثناء نقلها :

– آه يا بني ! . إن "**ملدريد ليونز**" كانت في طريقها لمقابلة "**رانسوم**" . . وإذا كان السفاح الأكبر قد اقتنصها . .

لم يجد "**دنيس**" فائدة من الإنكار . . وهكذا عاد مع السيد "**هنري**" إلى غرفة جلوس "**رانسوم**" وقص عليه كل شيء . . فلما فرغ قال العجوز مزمجرا :

– هكذا يهرب "**رانسوم**" من هنا في سيارة لا يمكنه قيادتها وهو بهذا عرضة للاصطدام أو الوقوع في أيدي البوليس ! لكن أين يذهب بالجثة ؟

– لا أعرف . لكنه قال إن بإمكانه إخفاءها في مكان لا يعثر أحد عليها فيه ولو فتش عنها . .

يا للعين ! . .

وأبدى "**دنيس**" قلقه من وقوف المفتش "**ماسترز**" على هذه التطورات الأخيرة في صدد الجثة مما قد يؤدي إلى اضطهاد "**رانسوم**" بلا مبرر . فضحك العجوز وطمأنه بأنه يعمل مستقلا عن هذا المفتش الذي تكبر عن طلب المساعدة منه منذ أحد عشر عاما ، وأردف قائلا :

– وهناك سبب آخر يجعلني أضن بمعلوماتي الآن على "**ماسترز**" .. هو عدم وقوفي على جميع الحقائق .. فمثلا . لا أعرف ماذا حدث لزوجة "**بولاي**" الرابعة ، التي اختفت في "**توركاي**" . ولا أعرف كيف اختفت .. ولكن ماذا حدث للزوجات الثلاثة الأخريات ! ؟

– وكيف عرفت أن "**روجر بولاي**" موجود هنا فعلا ؟ . أكان هذا بعد أن أفضى إليك "**بروس**" بما لديه عن تلك المسرحية ؟

– عرفت من هذا ، ومن شيء آخر كنت قد اكتشفته بنفسي جعل شعر رأسي القصير يقف عن آخره . . .

تقدم فجأة إلى درج مكتب "**بروس**" وأخرج منه الصفحات المكتوبة على الآلة والغلاف الذي يحمل اسم "مشرب الشاي القديم" ووضعها بجانب الآلة الكاتبة.. ووقف برهة ينظر إلى رسالة "**بروس**" التي ما زالت مثبتة في أعلى هذه الآلة ، واستغرق في تفكير طويل ، حتى اضطر "**دنيس**" أن ينبهه إلى وجوده . فأفاق قائلا :

– أعتقد يا بني أنه قد آن الأوان لإطلاعك أنت وصديقتك على بعض الحقائق.. لعلك تذكر أني قلت لكم منذ البداية إنكم لا تعرفون ما حقيقة المشكلة التي تواجهكم .. وهذا ما جعلكم جميعا توجهون بحثكم في الطريق الخاطئ .. ثم استطرد فجأة بلهجة الجد والخطورة :

– إن "**بولاي**" قد جن جنونه هذه المرة ، وإذا لم نعمل على أنكم لا تعرفون ما هي حقيقة المشكلة التي تواجهكم .. وكذا كل ما سبقها .. فإن ضحيته القادمة قد تكون "**دافني هربرت**" ومن عجب أن الباب فتح في هذه اللحظة ودخلت "**دافني**" نفسها وكأنما تجسدت لدى ذكر اسمها .

هرعت الفتاة إلى "**دنيس**" وأمسكت بيديه قائلة :

– السيد "**فوستر**" . أين "**بروس**" ؟ .

لم يدر كيف يجيب .. فقالت الفتاة مرة أخرى :

– هل هو .. هل استعار سيارتي ؟

– وماذا يجعلك تظنين هذا ؟ ..

– إنها اختفت .. إن "**بروس**" لا يعرف القيادة . وأبي يبلغ البوليس تليفونيا الآن عن سرقة سيارتي .

فقال "**دنيس**" يخاطب العجوز وقد ساءه هذا التصريح :

– أين "**ماسترز**" ؟

– إن "**ماسترز**" سيكون هنا بين لحظة وأخرى .. اسمعي يا فتاتي .. عودي إلى تحت وقولي لوالدك أن يسحب بلاغه للبوليس ، وإلا ترتب على ذلك نتائج خطيرة ..

فقالت الفتاة بضحكة عصبية :

– أعتقد أن أبي ما زال يؤمن في قرارة نفسه بأن "**بروس**" هو "**روجر بولاي**" .. وهذا بعيد عن الواقع .. أليس كذلك يا سيد "**فوستر**" ؟ ..

– كل البعد يا آنسة .. ولك أن تطمئني بعد أن سمعت كلام السيد "**هنري**" ..

فقالت الفتاة وهي تضغط على يديه بحرارة أثلجت صدره :

– شكرا لك .. سأنزل لكي أفعل ما طلبتم ..

وانسحبت الفتاة على الأثر .. لكنها لم تكد تبتعد حتى جاءت "**بيريل وست**" في أعقابها ، وقالت في إعياء :

– يا إلهي .. إني عملت برأي "**بروس**" وحجزت الأب والفتاة أطول مدة ممكنة لكن لكل شيء نهاية . هل حقيقة أن "**بروس**" أخذ السيارة ؟ .

– نعم .

– يا للأحمق ! . . إنه سيقتل نفسه .

وفي هذه اللحظة فتح الباب وأقبل الأسكتلندي "**ماكفرجوس**" مدرب الجولف . فقال له العجوز :

– أين كنت يا بني ؟

– كنت أحمل حقيبة مضاربك إلى الفندق . . هل تظن أني "صبيك" ، حتى أقوم بهذا العمل ؟

– اجلس هنا وكفى ثرثرة . .

فأذعن مدرب الجولف وهو يهمهم ويدمدم . . بينما التفت العجوز إلى "**دنيس**" واستطرد قائلا :

– إني كنت أفكر يا بني في موضوع الجرائم الثلاثة الأولى موضوع الزوجات الثلاثة اللائي اختفين . . لعلك تذكر من سياق التحقيق أن إحداهن اختفت في ضاحية "**كروبورو**" .

والثانية في "**دنهام**" . والثالثة في "**سكاربورو**" ؟

– نعم أذكر . . وما صلة هذا بالموضوع ؟

– إن الصلة المشتركة التي تجمع هذه الأماكن هي أن كلا منها فيه ملعب جولف ممتاز .

ثم التفت إلى "**ماكفرجوس**" الأسكتلندي وقال له :

– سألقي عليك يا بني سؤالا مهما قد تتوقف عليه حياة إنسان . . وهذا السؤال هو : هل يمكنك إخفاء جثة في أرض ملعب جولف ؟ . .

فقابل الاسكتلندي هذا السؤال بضحكة تنم عن الشماتة والانتصار . . ولكنه أجاب بمحاضرة طويلة مؤداها أن إخفاء جثة في أرض ملعب جولف شيء لا يمكن أن يتم دون أن تتخلف آثار تدل على حدوث حفر وتنقيب أو دوس

بالأقدام .

ومن عجب أن العجوز تلقى هذا البيان مدحورا . ولم يتمالك نفسه أن يمم شطر المدفأة يائسا ووقف يفكر وهو مطرق الرأس وقال في النهاية :

– لا حيلة لنا في الأمر .. سيضطر "**ماسترز**" الآن إلى القبض على الممثل الكبير .. لمنع وقوع أضرار أخرى في الوقت الحاضر .. ثم يطلق سراحه في خلال بضعة أسابيع على الأكثر ! ..

وفجأة ركز العجوز نظراته في شيء كان في ركن الغرفة حتى حملهم جميعا على أن يتابعوا مرمى بصره .. ولما لم يبصروا أمامهم شيئا سوى روب "**بروس**" الحريري ملقى على ذراع مقعد . لم تتمالك "**بيريل**" نفسها أن هتفت قائلة :

– ماذا هناك ؟

فقال العجوز بعد صمت طال مداه .

– سنضع أيدينا عليه .. سنضع أيدينا عليه وحق الشيطان ذي القرون الستة!

- 14 -

استيقظ "**دنيس**" من نومه العميق على صوت يناديه بإلحاح .. ولما فتح عينيه رأى "**بيريل وست**" واقفة عن كثب منه وهي مرتدية (الروب) فوق (البيجاما) . قالت له :

– أنا في أشد الأسف لإيقاظك يا "**دنيس**" .. ولكني كنت مضطرة ..

ولما استرد "**دنيس**" حواسه تذكر أنه نائم في غرفة مكتب الكابتن "**رينويك**" صاحب الفندق ، لعدم وجود غرفة أخرى ينزل بها .. وقد فعل هذا مضطرا بعد أن لبثوا ينتظرون عودة "**بروس**" حتى منتصف الليل دون جدوى ..

– ماذا جرى يا "**بيريل**" ؟..

- لقد رأيت "**بروس**" .. منذ أقل من عشر دقائق .

- أين ؟ ..

فهتفت الفتاة وهي تحاول حبس الدموع في عينيها :

- إن الأحمق تسلق نافذة غرفة نومي ، وإن لم يكن هناك سبب يمنع حضوره من الباب ! . وقد أيقظني وقال لي ..

- وأين هو الآن يا "**بيريل**" ...؟

لقد ذهب مرة ثانية ...

- وهل أخبرته أن جميع رجال البوليس المحلي يبحثون عن تلك السيارة اللعينة؟ .. وأنهم وإن كانوا لا يتهمونه الآن بشيء ، إلا أنهم سيشددون عليه النكير إذا لم يقدم نفسه حالا ؟

- لا .. لم أقل له هذا .. لم أفكر في شيء من هذا القبيل .. والسبب أنه يحبني ..

وجلست على حافة الفراش وحجبت وجهها بيديها وأجهشت بالبكاء حتى كانت الدموع تنحدر من بين أصابعها . وتركها "**دنيس**" تبكي حتى هدأ روعها قليلا .. في النهاية قال لها :

- وماذا قال لك " **بروس** " ؟ أم أن هذا سؤال متطفل ؟ .

- لا تطفل منك " يا **دنيس** " .. إنه أمسك بمنكبي وقال لي " أنت وأنا ملك بعض .. نحن روح واحدة في جسدين .. سأخبرك بكل شيء فيما بعد " .. ثم تركني وذهب كما جاء ، والفجر تبدو خيوطه ..

- ألم يقل شيئا آخر يا "**بيريل**" ؟ ألم يقل أين كان ؟ .. وماذا كان يفعل؟.. أو أي شيء من هذا القبيل ؟ ..

- لا .. لم يزد على ذلك سوى تلك الضحكة التي صدرت منه ، خصوصا

عند ذكر الأسماء التي تقرأ معكوسة ! .

– وماذا ... ماذا عن " **دافني هربرت** " .. ؟

فأجابت "**بيريل**" وهي ترفع يديها عن وجهها وتتكلم بحماس شديد :

– إنه لم يحبها قط ! .. لقد تأكدت أنه لم يحبها . كنت أعلم طوال الوقت أنه يمثل دورا معينا ..

وكل ما هناك أنه اعتاد لفرط اندماجه في التمثيل الاعتقاد بأنه جزء من الدور الذي يمثله فعلا .. وهذا سر توهمه أنه يحب " **دافني** " ! ..

صمتت " **بيريل** " برهة ، ثم استطردت تقول :

– ولكني أوفي الفتاة حقها فأقول : إنها لم تحبه بدورها ..

وإنما استهوتها شخصيته الغريبة الساحرة ، كمن يقع تحت تأثير مغناطيسي ..

وجرت دموعها مرة أخرى .. فقال لها "**دنيس**" :

– رفقا يا عزيزتي .. أنت الآن سعيدة .. أليس كذلك ؟

– كل السعادة .. وهذا سبب بكائي المتواصل ..

ونهضت " **بيريل** " قائمة .. وقالت بعد فترة :

– سأخرج الآن من غرفتك يا عزيزي "**دنيس**" قبل أن يدور اللغط ضدنا في الفندق ! .. إني أردت فقط أن أقول لك : إني ما عدت أتأثر لأي شيء يجد في المستقبل ..

انسحبت الفتاة وهي تضغط على يده في نشوة روحية بادية...

وما كاد "**دنيس**" يضع رأسه على الوسادة مرة أخرى حتى استغرق في نوم عميق تخالطه الأحلام المضطربة ..

ومرة أخرى استيقظ على صوت يناديه بإلحاح .. وكان القادم هذه المرة هو الكابتن " **رينويك** " صاحب الفندق ، الذي أخبره أن الساعة قد جاوزت

العاشرة صباحا ، وطلب إليه أن يلحق به مسرعا في غرفة "**رانسوم**" .

ولما وصل إلى غرفة " **بروس** " وجد الكابتن " **رينويك** " ينتظره مع "**بيريل**" .. وقال له صاحب الفندق وهو يشير إلى الفوضى الضاربة أطنابها في الغرفة :

– انظر حولك يا سيد " **فوستر**" ! .. انظر وقل لي بعد ذلك إن كان الموقف يمكن احتماله أكثر من ذلك ؟ ..

فقد استهدفت الغرفة لعدوان شنيع ، لم يبق فيها شيء من أثاثها على حاله... فالمقاعد المحشوة ممزقة بمطواة تمزيقا ذريعا .. ومضارب الجولف محطمة عن آخرها .. والمكتب مقلوب رأسا على عقب حتى تناثرت أوراقه وكست أرض الغرفة .. والآلة الكاتبة مهشمة تماما حتى لم يبق منها سوى قطع معدنية ملتوية أي التواء .

ورغم ذلك بدت" **بيريل**" لعيني "**دنيس**" وهي غير منزعجة كثيرا لهذه التطورات .. بل إنها مشغولة بشيء آخر أهم في نظرها من هذا العدوان على أثاث الغرفة ، إذ قالت بعد أن أعربت عن مواساتها لصاحب الفندق .

– إنها النسخة .

– أية نسخة ؟ ! .. لا أفهم قصدك يا آنسة .

فتقدمت "**بيريل**" إلى المكتب المقلوب وجذبت درجه ، فوجدته خاويا . فقالت لصاحب الفندق :

– لا تقل إنك لم تفهم يا كابتن "**رينويك**" ، وجميع من في الفندق كانوا يتحدثون عن هذا في الليلة الماضية .. إن " **بروس** " كان عنده جزء من النسخة الأصلية لمسرحيته يثبت أن شخصا ما يعرف الكثير عن " **روجر بولاي** " .. والآن قد ضاع هذا المستند ..

– وهل كان السيد " **رانسوم** " يحتفظ بالنسخة أو المستند في هذا الدرج؟..

– نعم ..

– مفهوم .. ومن كان يعرف أنه كان يحتفظ بها في الدرج ؟

وقبل أن يجيب أحد فتح الباب الخارجي ولاح لهم " **جوناثان هربرت** " تصحبه زوجته ..

كانت ملامحهما تدل على وقوع حادث جسيم .. وقد قال " **هربرت** " وهو يطوق خصر زوجته مواسيا :

– لقد خطر لنا أنه ربما كان بوسعكم مساعدتنا ...

فخف إليه صاحب الفندق وقال منزعجا وقد نسي بلواه :

– ماذا جرى أيها الصديق ؟ .. ماذا جرى ؟ ..

فبلل " **هربرت** " شفتيه قبل أن يقول :

– لقد هربت " **دافني** " مع " **بروس رانسوم** " ..

- 15 -

كانت "**بيريل**" هي أول المتكلمين .. إذ هتفت قائلة :

– لا أصدق هذا ! .

فقال " **هربرت** " لزوجته :

– أريهم يا عزيزتي .. لقد أصبح الموضوع الآن ملكا مشاعا للجميع ..

ففتحت " **كلارا هربرت** " حقيبة يدها وأخرجت منها ورقة مثنية تناولها "**دنيس**" وقرأ فيها ما يلي :

" عزيزتي ماما وعزيزي بابا :

أنا ذاهبة مع " **بروس** " إنني أحبه . هذا شيء طبيعي . سأشرح لكما كل شيء فيما بعد – " **دافني** " .

– إن الخادمة شاهدتهما وهما يبتعدان في الحديقة ... وكان السيد "**رانسوم**" يحمل حقيبة " **دافني** " .. وقد ركبا السيارة التي فقدت بالأمس ، وابتعدا بها.. فقال " **دنيس** " وهو لا يكاد يصدق سمعه :

– هل يمكن أن أعرف متى حدث هذا ؟ ..

– بعد الفجر بنحو .. ساعة .. والأدهى من هذا أن الشاب وضع سلما تحت نافذة "**دافني**" لكي تنزل من غرفتها .. تماما كما يحدث في القصص .. إنه ..

لكن "**دنيس**" كان يلعن " **رانسوم** " في سره .. لماذا إذن ذهب ذلك اللعين إلى " **بيريل** " قبل ذلك مباشرة ؟ .. كان الأفضل لو أنه قتل "**بيريل**" وقتها بدلا من أن يسمعها ذلك الكلام المعسول ثم يدعها تقف الآن على هذه التفاصيل المخزية! ..

والتفت " **هربرت** " إلى "**دنيس**" وناشده أن يخبره إن كان يعرف شيئا عن المكان الذي يحتمل أن يقصد إليه " **رانسوم** " وهل هو على موعد في "**لندن**"، أو شيء من هذا القبيل ..

فنفى "**دنيس**" علمه بشيء من هذا .. ولكن " **بيريل** " تطوعت للمساعدة بحماس .. فقد انحنت فجأة والتقطت نسخة مجلة " **راديو تيمس**" من حيث كانت ملقاة على الأرض بين الأوراق المتناثرة ، وبعد أن قلبت صفحاتها فترة راحت تقرأ بصوت مسموع :

" السبت – الإذاعة المسرحية .. من التاسعة والربع إلى العاشرة والنصف "**بروس رانسوم**" في دور كابتن "**كاتروث** " .

فغمغم "**هربرت**" قائلا :

– الليلة ! .. هذا هو المطلوب .. يمكنك أن تذهبي معي يا "**كلارا**" إلى "**لندن**" .. لكن عديني ألا تحاولي التدخل ..

– "**جوناثان**" ! .. أرجو ألا تتهور ! .. أنا معتمدة على حكمتك ..

– اطمئني يا "**كلارا**" ودعيني أتصرف ، سأعامل "**بولاي**" كما يجب أن يعامل "**بولاي**" .. شكرا لكم أيها السادة ..

انصرف الزوجان يتعثران في خطاهما .. وبقي الثلاثة في الغرفة صامتين.. وقبل أن يهم "**دنيس**" بالكلام لمعاتبة "**بيريل**" على تصرفها دق جرس التليفون، فأسرع الكابتن "**رينويك**" إلى السماعة وأنصت برهة ، ثم وضعها مكانها قائلا :

– إن السيد "**هنري مريفال**" في الطابق الأسفل في غرفة التدخين ، وهو يريد أن تنضما إليه حالا لأمر مهم ..

كانت هذه الدعوة كنجدة هبطت من السماء .. وسرعان ما نزل "**دنيس**" و"**بيريل**" إلى غرفة التدخين ، تاركين صاحب الفندق وحده ..

كانت غرفة التدخين رحبة وفي أقصاها ركن مستقل – يشبه غرفة صغيرة – جلس فيه السيد "**هنري مريفال**" والمفتش "**ماسترز**" منهمكين في حديث جاد.. وما كادت كلماتهما تصل إلى سمع "**دنيس**" حتى وقف مكانه واستوقف "**بيريل**" بحيث كان بوسعهما الاستماع إلى الحديث دون أن يفطن إليهما أحد..

كان المفتش "**ماسترز**" يقول للعجوز متبرما :

– أعترف أن النقط التي ذكرتها لي بالأمس فيها عون كبير .. لكني لا أفهم مرادك عندما تقول إننا متى تأكدنا من وجود "**بولاي**" في "**أولد بريدج**" أو قريبا منها ، فسنجد أمامنا آثارا واضحة ترشدنا إلى مكانه وإلى الشخصية التي تقمصها .

– أصغ إلي يا "**ماسترز**" .. لنفرض أنك "**روجر بولاي**" .. لقد انقضت إحدى عشرة سنة ، وارتكبت ما نسميه جريمتك الرابعة .. مفهوم ؟ ..

– حسنا يا سيدي .. وبعد ؟ ..

– وفي خلال ذلك تم نضجك واكتملت مقومات شخصيتك ..

– مهلا يا سيدي .. لست أفهم ما ترمي إليه بهذا التعبير !

– إذن فاسمع يا بني .. لقد كنت في صباك تعاني مركب نقص شنيعا حيال النساء .. ثم اختلف الموقف وأنت في منتصف العقد الثالث من عمرك ، ثم وصلت إلى "**لندن**" هاربا من "**جامايكا**" ولا مورد لك .. إن هذه الحالة ليست غريبة يا "**ماسترز**" ، فكثير من الشبان من طراز "**دون جوان**" لم يقعوا في تجربتهم الغرامية الأولى قبل السادسة والعشرين .. وشيئا فشيئا تدرك مبتهجا أن النساء هن فريستك الطبيعية .. بل ترى أن الأمرلا يقتضيك إلا أن تهز الشجرة فيتساقطن منها كالتفاح الناضج ..

والنتيجة يا "**ماسترز**" .. بهجة ومسرة ! . مورد للعيش لا ينضب ! . ثقة بنفسك تزيد وتطرد مع الأيام ! .. وهنا لا تلبث أن تكشر عن أنيابك .. وهنا تتلذذ، لمجرد التلذذ ، بخنق فتيات مثل "**أندريه كوبر**" ، لإظهار سلطانك على جنس المرأة كله ...

"هكذا تتطور نظرتك إلى نفسك يا "**ماسترز**" .. تراك عبقريا في هذا المضمار، تغرر بالنساء الآمنات ، وتستغفل البوليس .. لكن اللعبة لا تلبث أن تصبح محفوفة بأشد المخاطر ، وليس ثمة ضرورة تحتم عليك الاستهداف لهذا الخطر .. وإذن ، بعد أن تهزأ بالبوليس في حادث آخر ، تعمل على الاختفاء عن الأنظار ، ولا تعود إلى الظهور إلا بعد قتل "**ملدريد ليونز**" .. والآن أسألك يا "**ماسترز**"، ماذا تفعل وهذا موقفك ؟ .."

فلم يسمع "**دنيس**" و "**بيريل**" من مكانهما سوى زفرة صدرت من المفتش .. فقال العجوز :

– هذه هي الحقائق كلها ماثلة أمامك يابني .. فهل تدرك تفسيرها ومدلولها؟..

فأجاب "**ماسترز**" بصوت أجش :

– نعم أدرك .. إن "**بولاي**" اللعين الذي يتسمى الآن باسم ..

في هذه اللحظة الحاسمة شاهد الشابان وجه السيد "**هنري**" يطل عليهما بعد أن سمع ولا شك صوتا أو حركة دلت على وجود من يسترق السمع .. وقال لهما بصرامة :

– هل كنتما تنصتان إلى هذا الحوار اليسير ؟ .

فأجاب "**دنيس**" قائلا :

– نعم يا سيدي .. دون أن نفهم منه الكثير مما ينير لنا الطريق ...

– أقبلا هنا ...

وهكذا انضم الشابان إلى المجلس ، فقال "**دنيس**" للعجوز بلهجة اليأس :

– ما دمت لا تريد أن تخبرنا بشيء ، فربما يهمك أن تعلم أن "**دافني**" هربت مع "**بروس رانسوم**" ..

وهتفت "**بيريل**" بدورها :

– وأكثر من هذا أن شخصا ما سطا على غرفة "**بروس**" في الليلة الماضية ومزق محتوياتها إربا ! ..

– أعرف هذا أيضا ...

– لكن إذا كنت تعلل النفس بإثبات نتيجة ما عن طريق تلك الصفحات المأخوذة من نسخة المسرحية الأصلية ، فلن تنجح في هذا .. فإن بعضهم سرقها..

– كلا .... لم يسرقها ...

وأخرج العجوز من جيبه أوراقا مطوية لوح بها قائلا :

– إني أخذت تلك الصفحات يا فتاتي قبل خروجي من الغرفة في الليلة الماضية . .

ثم رد الأوراق إلى جيبه وقال :

– إنها على كل حال دليل إضافي . . لكنها لا تكفي لإدانة "**بولاي**" بتهمة القتل . . وهذا ما جعلني أطلب حضوركما الآن إلى هنا . . .

وصمت برهة . . ثم راح يقول :

– إنني ذاهب في مهمة خاصة عصر اليوم ، وحدي . . فهل تحبان أن تصحباني؟ . . لكن المهمة لها بعض الجوانب غير المسرحية . . .

– وكيف ذلك ؟ . .

– لأن الموقف سيقترن بأشد المخاطر عندما يقع "**روجر بولاي**" في الشرك . . إنه لن يتقبل هذا باسما . . فهل تحبان مرافقتي رغم هذا التحذير ؟ . .

وقبل أن يجيب الشابان دوى صوت الرعد قاصفا مجلجلا منذرا بعاصفة عاتية . . .

- 16 -

كانت رحلة شاقة محفوفة بالأخطار تلك التي استهدف لها "**دنيس**" و "**بيريل**" في السيارة البوليسية التي كان يقودها السيد "**هنري مريفال**" وحده . . وضاعف من خطورة الرحلة أنها كانت في صميم العاصفة التي بدأت عقب الغداء واشتد ثورانها حتى كان السير في المطر المنهمر وتحت السحب السوداء التي أحالت النهار إلى ظلام مهمة كريهة يتحاشاها كل إنسان . ومما زاد في بلبلة أفكار الشابين أنهما لم يستطيعا التكهن بالوجهة التي يقصدون إليها ،

ولا بالطريق الذي يسلكونه . . .

وأخيرا ، وبعد مسيرة كيلومترات في مناطق مقفرة شديدة الوعورة ، وقفت بهم السيارة أمام مبنى مهجور ، والتفت إليهم السيد "**هنري**" قائلا :

– اسمعي يا فتاتي . . أصغي جيدا لما أقول . . في خلال دقائق ستواجهين سلسلة من الحوادث الغريبة التي لا يمكن أن تفهميها أبدا . . لكن لن يكون فيها ما يضرك . . وأريد الآن أن تعديني أنك لن تقابلي هذه الحوادث بالصراخ أو الوثب أو أي شيء من هذا القبيل . . فإن لم يكن بإمكانك فلك أن تبقي هنا حتى نعود . . مارأيك ؟ .

– إني أعد . . .

– لا بأس . . انزلا الآن من السيارة واتبعاني . .

سارا خلفه والمطر الغزير يكاد يعمي أبصارهم حتى بلغوا مدخل المبنى المهجور . . فقال العجوز :

– هذا هو المكان الذي سندخله . .

فقالت "**بيريل**" :

– ومن في الداخل ؟ . .

– لا أحد ، حتى الآن . . . أو هذا ما أرجوه . . .

وتعثرت قدم "**دنيس**" فجأة في صندوق غارق في الماء والوحل . . ولما انحنى فوقه ليتبينه ، عرف أنه صندوق ذخيرة . . . تكرر هذا الاكتشاف بين خطوة وأخرى . . وتقدمهما العجوز وصعد درجا حجريا ودفع الباب وأشار إليهما أن يتبعاه . . وبعد برهة كان ثلاثتهم يسيرون في ممشى مظلم شديد الرطوبة أفضى بهم إلى حجرة مربعة ليس بها من الأثاث سوى ثلاثة مقاعد خشبية ومائدة قرب إحدى النوافذ . . .

وفي ومضة خاطفة من البرق لاح لهم هيكل ضابط ألماني بخوذته ومسدسه يثب قائما من خلف النافذة .. فكادت "**بيريل**" تصرخ رعبا ، لولا أن وضع "**دنيس**" يده على فمها ، وقال العجوز مشفقا :

– اطمئني يا فتاتي .. هذا هيكل خشبي للتدريب .. ولا ذنب لي إذا تحرك الآن .. إن شخصا ما يعبث باللولب الذي يحركه ..

ولم تمض لحظة حتى اختفى الهيكل .. فقال العجوز مفسرا :

– إن هذه الهياكل مصنوعة من الخشب ومشدودة بحبال وبكرات .. إن المنزل مملوء بها .. وسترين أسوأ من هذا .. إن هذه المنطقة ، كانت لمسافة كيلومترات بمثابة مدرسة للتدريب الحربي .. وهذا البيت واحد منها ..

فلم يتمالك "**دنيس**" أن هتف قائلا :

– مدرسة للتدريب الحربي ؟ .. إن "**بروس رانسوم**" ذكر فعلا ...

فقال العجوز ساخطا :

– هل ذكر "**بروس**" هذا ؟ .. ونسيت أن تخبرني ؟ ! .

– نعم ... بكل أسف ...

وشرح لهما العجوز الهدف من هذه المدارس .. فقال إنها أشق أنواع الاختبار لأعصاب الجندي المبتدئ .. إذ يعطى كل جندي عند دخوله البيت خمس عشرة رصاصة ويقال له إن مثل هذا العدد من جنود العدو كامنون في أرجاء المنزل وفي "البدروم" ، وعليه أن يصرعهم برصاصاته عن آخرهم .. وهكذا يأخذ الجندي في الزحف حيث تثب عليه هياكل الجنود الألمان من كل ركن ، فيعاجلهم برصاصه بين قصف المدافع الرشاشة وانفجار القنابل اليدوية من أيدي المشرفين على التدريب .. فإذا نفدت رصاصات الجندي قبل أن يقضي على العدو فهو جندي ضعيف الأعصاب لا يصلح للحرب في الميدان .

ودعاهما العجوز إلى النزول إلى "**البدروم**" لتكملة قصة التدريب الحربي .. فلم يجد الشابان سبيلا إلى الامتناع ، وسارا معه مرة أخرى في الممشى المظلم وفي ذهنهما هذا السؤال المحير ما العلاقة بين اعتقال "**بولاي**" وبين هذه المدرسة المهجورة الحافلة بأسباب الرعب ؟. لكنهما آثرا الصبر وانتظار ما تتمخض عنه الأحداث ..

كان البدروم ، في نهاية الممشى أسفل السلم .. ولم يكن مدخله سوى فجوة واسعة مظلمة لم يدر "**دنيس**" كيف يطمئن الإنسان إلى لقاء شخص مثل "**بولاي**" في داخلها .. ولذا قال للعجوز .

– نريد أن نعرف سلفا ما الذي سنراه هذه المرة ؟ ..

– تمثال ...

– تعني مثل هذه الهياكل الخشبية للألمان ؟ .

– كلا .. بل تمثال إنسان كامل محشو بالقش تكسوه الملابس .. أريد أن تبصراه الآن ، حتى تعتادا عليه فيما بعد .

– فيما بعد ؟ .. هل سنمكث هنا طويلا ؟ ..

– ربما ..

وأضاء العجوز بطاريته وهبط أمامهما سلما خشبيا ينتهي إلى باب قائم إلى اليسار .. ووقف العجوز عند نهاية السلم وأرسل ضوء البطارية من خلال الباب.. فوقعت أنظارهم على غرفة وطيئة ذات نوافذ عالية مشبكة القضبان وكان للغرفة باب آخر يفضي في الظاهر إلى غرفة ثانية أصغر من هذه ، وفيها سلم يؤدي إلى خارج البيت ..

ولكن أرهب ما رأته أعينهم هو ذلك الهيكل البشري المعلق بحبل رفيع إلى السقف .. وكان ظهره إلى ناحيتهم ..

وقال العجوز في تفسير وجود هذا الهيكل البشري المعلق إنه متمم لاختبار الأعصاب الذي يستهدف له الجندي المبتدئ .. ولكن "**دنيس**" استرعى نظره في الهيكل المعلق ما جعله يتقدم خطوة إلى الأمام ليدقق النظر .. فإذا هو إزاء جثة امرأة يعرف ملامحها جيدا .. وإذا بـ"**بيريل**" بدورها تكتم بجهد تلك الصرخة العنيفة التي كادت تفلت منها .. وعند ذلك قال السيد "**هنري مريفال**" بهدوء :

– نعم .. هذه جثة "**ملدريد ليونز**" ..

- 17 -

قال العجوز :

– لنعد إلى الطابق الأعلى .. كان لابد أن أريكما هذا .. لكن لنبتعد الآن عن هذا المشهد .

ولما عادوا إلى الغرفة العليا استطرد السيد "**هنري**" يقول :

– إن "**ماسترز**" طلب مني ألا أجيء بكما إلى هنا .. وربما كان على حق . فهناك مناسبات لا يستطيع فيها حتى الرجل العجوز أن يتمالك أعصابه ..

ولم تتمالك "**بيريل**" نفسها أن هتفت على الرغم منها :

– إن "**بروس**" هو الذي وضع تلك الجثة مكان الهيكل المعلق .

– هذا صحيح ..

والتفت إلى "**دنيس**" قائلا :

– وقد صدق "**رانسوم**" يابني عندما قال : إنه سيخفي الجثة في مكان لا يستطيع أحد أن يعثر عليها فيه حتى لو فتش عنها .. إنه يعرف ، ككل إنسان هنا ، كل شيء عن (بيت الرعب) هذا .. ولذلك كان الناس يتجنبونه ..

فقالت "**بيريل** بلهجة الاستعطاف :

– لكن لماذا فعل "**بروس**" هذا ؟ ..

– حسنا .. إن هذا جزء من القصة .. ولا مفر من أن أحدثكما عن "**روجر بولاي**" ..

ولما صاح "**دنيس**" قائلا إنهم سئموا التلميحات والإشارات الغامضة التي لا تشفي غليلا بادر العجوز قائلا :

– لقد انتهى وقت التلميحات .. وسأحدثكم الآن بالقصة كاملة ..

جلس العجوز في مقعد وأشعل سيجارة وراح يقول :

– إن اتجاه البحث والتحري كان خاطئا من أوله ..

لقد سمعتماني صباح اليوم ، وأنتما تسترقان السمع ، أصف شخصية "**بولاي**" .. لقد سمعتما كيف اكتشف هذا المخلوق بعد إقصائه من موطنه الأصلي واستقراره في "**لندن**" ، أن النساء هن فريسته الطبيعية ، وكيف ركبه الغرور وعادت إليه ثقته بنفسه ، ثم كشر عن أنيابه وتلذذ بقتل "**كوبر**" ..

وكان ذلك أول عهد البوليس بالالتفات إليه .. فقد عرف البوليس أنه اقتنص هذه الفتاة المليئة بالجاذبية ، وابتاع لها الملابس وصحبها إلى ضاحية "**سكاربورو**" في "**يوركشير**" حيث أقام معها في فيلا منتحلا اسم "**ريتشارد**" ولم يكن يراها أحد إلا نادرا .. وحتى رجال البوليس الذين كانوا يراقبون الڤيلا لم يشاهدوها إلا عن بعد .. ولم يثبت أنها تزوجت في مكان ما، ولم يعرف لها اسم ، ولم يكن لها أصدقاء ..

لقد كان طبيعيا أن يكون لـ"**بولاي**" شريكة تساعده .. إن هذه الشريكة التي لعبت دور السيدة "**بولاي**" هي ..

"**ملدريد ليونز**" ..

– "**ملدريد ليونز**" ؟ .. كيف يمكن ذلك وقد كانت هي شاهدة الاتهام في القضية ؟

– لك حق في دهشتك واعتراضك يا فتاتي .. لكن فكري معي في ظروف هذه الجريمة المفتعلة ! .. لقد كانت "**ملدريد**" هي الشخص الوحيد الذي روى حكاية الرؤية من النافذة وكانت هي الشخص الوحيد الذي زعم أنه رأى السيدة "**بولاي**" عن كثب أو تحدث إليها .

وهناك دليل آخر .. لاشك أنكما تذكران ليلة أن كنا في الحانة المواجهة لمسرح غرناطة منذ نحو شهر .. في هذه الليلة قال لي "**ماسترز**" وهو يقدمكما إلي إنه إزاء إثبات دليل جديد في قضية "**بولاي**" ، وإن مؤلفا مجهولا كتب مسرحية عن "**بولاي**" وإن هذا المؤلف يعرف الكثير .. وكان قصد "**ماسترز**" من هذا الكلام أن المؤلف قد يكون "**بولاي**" نفسه ، وهو ما ثبتت صحته بعد ذلك فعلا . قال "**ماسترز**" إن المؤلف يعرف أن الشاهد في الجريمة الرابعة امرأة ، ويعرف أين نظرت ، ويعرف ماذا شاهدت – وهي بيانات كان المفروض أنها غير معروفة إلا للبوليس ، ولكما ، وللفتاة "**ملدريد ليونز**" نفسها ..

وهذه المسألة ستبدو لكم أشد غرابة إذا فحصتم بعض الصفحات في النسخة الأصلية للمسرحية ، وقد حرص "**بروس رانسوم**" على إخفائها لديه .. هل رآها أحدكما ؟..

فأومأت "**بيريل**" إيجابا وقالت إن "**بروس**" أراها تلك الصفحات في الليلة الماضية ..

– إنه أراني إياها عندما حضرت إلى "**أولدبريج**" منذ أسبوعين .. إن "**بولاي**" ، مؤلف المسرحية ، يعرف أن الشاهدة ذات شعر أحمر .. ويعرف أنها ذهبت تلك الليلة لمقابلته بصدد ورقة مالية رديئة من فئة العشرة شلنات .. بل

يعرف أنها قصدت إليه راكبة دراجة .. فكيف تسنى له أن يعرف كل هذا؟..
إن شيئا كهذا لا يكون . إلا إذا كان "**بولاي**" و"**ملدريد ليونز**" يعملان معا متضامنين لتضليل البوليس ..

ولكن .. هل كان بوسع "**ملدريد ليونز**" أن تلعب دورها ودور السيدة "**بولاي**" في وقت واحد ؟ .. لقد كان ذلك من أيسر الأمور .. فإن "**ملدريد**" كانت تعمل وحدها في مكتبها الخاص بالنسخ ، وكان بوسعها أن تروح وتغدو دون أن يفطن إليها أحد . ثم إن البوليس لم يكن يراقب تلك الفيلا إلا ليلا ..

وكان من السهل أن تغادر الفيلا من الباب الخلفي المؤدي إلى التلال المكسوة بالغابات ، دون أن يراها أحد .. بل إنها استطاعت قبل أن يبدأ البوليس المراقبة أن تثبت شخصيتها بوصفها السيدة "**بولاي**" في أعين الناس العابرين ، مثل موزع البريد وصبي القصاب ومن إليهما ..

ولم يكن أسهل من إخفاء شعرها الأحمر تحت شعر مستعار ، والتزين بمجموعة من الجواهر الثمينة التي جلبها "**بولاي**" ، وبهذه الصورة يراها الناس، عن بعد وهي جالسة في الحديقة مع زوجها تشرب الشاي وتطارحه الحب .. ومتى رسخت دعائم هذه الشخصية ، فإنها لم تكن بحاجة إلى العودة إلى الفيلا حتى ذلك المساء الحافل من يوم 6 تموز (يوليو) ..

في ذلك اليوم خرجت سافرة بوصفها "**ملدريد ليونز**" وهي تحمل آلتها الكاتبة فوق دراجتها .. ومعلوم أنها لم تكتب رسائل في تلك المناسبة ولا شيئاً من هذا القبيل .. وبعد دخولها الفيلا تظهر للناس في شخصية السيدة "**بولاي**" ، وتتناول الشاي لآخر مرة مع (زوجها) ، ثم تخرج في الأصيل وهي "**ملدريد ليونز**" كما كانت ..

فلما كان الليل حدث ختام المهزلة . لم يكن ثمة ورقة مالية رديئة ، وإنما كان

ذلك ذريعة لتغطية سبب ذهابها إلى الفيلا بعد ظهر ذلك اليوم ، وسبب عودتها إلى الفيلا ليلاً والنتيجة أنها عادت إلى الفيلا فوق دراجتها ، ونظرت فعلا من خلال ستائر النافذة ، ولم تبصر شيئا سوى "**بولاي**" نفسه .

"لقد كانت هذه الخطة البارعة كفيلة بتأمين "**بولاي**" نهائياً فإن البوليس لن يعرف أبداً ماذا فعل بجثة ضحيته المزعومة لأنهم سيوجهون أبحاثهم في الوجهة الخاطئة . . في مداومة البحث عن جثث لم توجد قط ! . .

ثم من يتصور أن "**ملدريد ليونز**" ، شاهد الاتهام ، والفتاة التي تستطيع تقديم "**بولاي**" إلى المشنقة ، يمكن أن تكون شريكته ؟ . . .

وخيم صمت رهيب في المكان لم يكن يتخلله سوى تساقط قطرات المطر في الخارج ، حتى قالت "**بيريل**" في النهاية :

– لقد سمعتك أمس تقول وأنت تتحدث مع "**ماسترز**" قرب ملعب الجولف ، إن أولئك السفاكين لهم دائما امرأة واحدة يعودون إليها ، امرأة يعاشرونها بين جريمة وأخرى . . لكنها المرأة الوحيدة التي لا يقتلونها ! . .

– أعترف يا فتاتي أني أخطأت في هذا التقدير فقط . . فها هو ذا قد قتلها . . لكنه فعل ذلك اضطرارا . .

– وكيف ذلك ؟ . .

– لقد هجرها هجرا تاما وقطع صلته بها على مدى أحد عشر عاما كاملة . . وهذا شيء ما كان ينبغي أن يعمد إليه بعد أن فعلت من أجله كل ما فعلت ! . .

في هذه اللحظة تذكر "**دنيس**" ملامح "**ملدريد ليونز**" وهي تتسلل خارجة من الباب الخلفي لمسرح غرناطة في تلك الليلة وما كان يرتسم على محياها من أمارات الانفعال ممتزجة بعلامات الخوف والانتصار . . وهكذا فهم الآن تفسير ما استعصى عليه فهمه وقتذاك . .

وكانت "**بيريل**" هي المتكلمة هذه المرة ، إذ قالت للعجوز :

– قل لي يا سيد "**هنري**" .. عندما كنا في الحانة تلك الليلة المعروفة ، رأيناك تكتب الحرفين الأولين من اسم "**بولاي**" فوق المائدة .. فلماذا فعلت ذلك؟..

– لأنني فطنت إلى حقيقة ما يريده "**بروس رانسوم**" .

وعرفت لماذا قرر الذهاب إلى "**أولدبريج**" .

ثم التفت إلى "**دنيس**" وأردف قائلا :

– إنك أخبرتنا تلك الليلة بكل ما يتصل بموضوع المسرحية وما ينويه "**رانسوم**" من الذهاب إلى "**أولد بريدج**" .. وقد جاء ذلك مؤيدا للفكرة التي استخلصتها لنفسي ، من أن كاتب المسرحية هو في الغالب "**بولاي**" ، وأن "جريمة **توركاي**" ليست سوى جريمة مفتعلة دبرها "**بولاي**" و"**ملدريد ليونز**" ..

ولما أرسل إلي المفتش "**ماسترز**" بعد ذلك بأيام الملف المتضمن تاريخ حياة "**بولاي**" ، وفيه شرح لبراعته في التلاعب بالتفسيرات القانونية ازددت اقتناعا بفكرتي .. وفي خلال ذلك لم يجد من التطورات سوى النبأ القائل بسرقة النسخة الأصلية للمسرحية . وهكذا قررت الذهاب إلى "**أولدبريج**" شخصيا للاشتراك في المعمعة .

وقد اتصلت في أثناء تحرياتي بـ"**بروس رانسوم**" ، فعلمت منه أنه استطاع أن يحتفظ من نسخة المسرحية الأصلية ببعض صفحات تكشف عن أشياء مروعة ، مع ورق تغليف عليه اسم "مشرب الشاي" في "**أولد بريدج**" ، مما استنتج منه "**رانسوم**" أن "**بولاي**" موجود في "**أولد بريدج**" فعلا .

وأخبرني "**رانسوم**" أنه قرر القيام بعمل حاسم بعد أن تعاقبت الأيام دون أن يصل إلى النتيجة المنشودة وخصوصا أن أهل القرية بدأوا يسيئون إليه .. وكان

من رأيه أن يكتب إلى "**ملدريد ليونز**" يدعوها إلى الحضور لكي تتعرف على "**بولاي**" ..

وأصارحكم أني لم أخبره بأنه كان في وسعي التعرف على "**بولاي**" دون حاجة إلى هذا الإجراء من جانبه ، إيمانا مني بأن "**ملدريد**" شريكة "**بولاي**" لا يمكن أن توقع أبداً بهذا المخلوق .. لكنني أخطأت في هذا التقدير ، إذ لم أكن أتصور أن حقد "**ملدريد**" على "**بولاي**" يدفعها إلى التنكر له على تلك الصورة.. وهكذا نسيت أمر هذه الفتاة ، حتى فات الأوان لإصلاح هذه الغلطة!..

وقبل أن يتغلب العجوز على شعور الأسف الذي كان يخالط نبرات صوته وهو يقرر هذا الكلام ، انبعثت من أرض الغرفة دقتان كان لهما رنين واضح مسموع..

- 18 -

لم يتمالك "**دنيس**" أن وثب من مكانه لدى سماعه صوت الدقتين .. ولكن العجوز قال بصوت جامد النبرات :

– هذا هو المطلوب .. لقد حان الوقت لكي نهبط إلى البدروم ..

– لماذا ؟ ..

– ربما لغير سبب ! .. ربما لا ينتظرنا سوى الفشل لكن من ناحية أخرى ..

وركز نظراته في صاحبيه ، وأردف بصرامة :

– سنقف حيث وقفنا في المرة السابقة . خارج باب البدروم .. وليس لأحد منكما أن يتحرك أو يتكلم مهما يحدث .. مفهوم ؟

فجاء الجواب بهز الرؤوس .. ولما تكررت الدقتان بإلحاح قال وهو لدى الباب :

– بقي شيء واحد لم أذكره من قبل ، وهو أن صديقكم "**بروس رانسوم**" هو

شخص آخر خلاف الشخص المعروف لكم ..

فتح الباب وخرج إلى الممشى المعتم .. ولم يقف حتى وصل إلى مدخل البدروم ..

وفي هذه المرة شاهدوا ضوءا خافتا ينبعث من كبرى غرفتي "**البدروم**" .. وسمعوا أصواتا تتردد من داخل الغرفة .. كان أحدها صوت "**بروس رانسوم**" ، والثاني صوت "**دافني هربرت**" الذي وصل إلى أسماعهم واضحا تشوبه رنة الألم والابتهال وهي تقول :

– كفى ! . كفى بالله !.

– فرد عليها "**رانسوم**" قائلا :

– انظري إليها يا "**دافني**" .. هي "**ملدريد ليونز**" .. دعيني أرفع الشال عن رأسها ، لكي تبصري الرمل يملأ عينيها . إن هذا هو ما يصيب النساء اللاتي ..

– كفى .. كفى بالله عليك ! ..

واقترب الثلاثة بحذر حتى وصلوا إلى مدخل الغرفة الكبرى .

كان يضيئها مصباح زيتي قاتم فوق صندوق خشبي شاهدوا في ضوئه الشاحب "**بروس رانسوم**" واقفا إلى ناحية من الجثة المعلقة وظهره إلى الباب .. وفي الناحية الأخرى وقفت "**دافني هربرت**" . ومرة أخرى انبعث صوت الاثنين في وقت واحد :

– تعال هنا ! ..

– لا .

– فتقدم "**بروس**" خطوة . قابلتها "**دافني**" بالتراجع خطوة مثلها . وفي هذه اللحظة فقط شعر كلاهما بشيء جعله يقف مكانه ويستدير إلى ناحية الباب المقابل المؤدي إلى الغرفة الثانية .

وعلى عتبة هذا الباب وقف "**جوناثان هربرت**" ممتقع الوجه ولكنه يبتسم ارتياحا .

كان ضوء المصباح يسطع على وجهه . وكان واضعاً يديه في جيبي سترته الواقية التي رفع ياقتها .. وكانت عيناه تلمعان تحت القبعة المبتلة وهما تنتقلان من "**دافني**" إلى "**بروس**" ثم إلى أرجاء الغرفة .

وبكل تؤدة وهدوء خلع سترته الواقية وقبعته وألقى بهما جانبا ثم تقدم إلى الأمام بحركات سريعة ويده تمتد إلى جيبه الخلفي ، فأسرعت "**دافني**" إلى ناحيته قائلة :

– أبي ! .. أبي ! .. إنهم يحاولون أن يقولوا لي . .

وحدثت المفاجأة المروعة . فقد امتدت ذراع "**هربرت**" بحركة كاسحة مخيفة كمن يريد أن يبعد شيئا عن طريقه . وهوت على ذقن الفتاة بضربة عنيفة ألقت بها على الأرض ..

ثم تقدم خطوة أخرى إلى الأمام وهو يبتسم وقد ركز نظراته في وجه "**بروس**" ، وقال بصوت واضح رنان :

– أيها المغفل ! . أنا "**روجر بولاي**" !

- 19 -

على هذه الصورة وقف الرجلان وجها لوجه . والجثة المعلقة مدلاة .. وتكلم "**بولاي**" مرة أخرى ، فقال بزهو واعتداد :

– هل سمعت ما قلت ؟ .. أنا "**روجر بولاي**" !

فرد "**بروس**" دون أن يتحرك من مكانه :

– إنني أعرف هذا .. وقد عرفته منذ الليلة الماضية . فقال "**بولاي**" وهو

يضحك باحتقار :

– أحقا ؟ .. لا بأس .. لنواجه الموقف يا "**رانسوم**" ..

إن كلينا يكره الآخر منذ اللحظة الأولى ، وبيننا أمور لابد أن نصفيها .. الآن وفي هذا المكان !

فقال "**رانسوم**" في حقد دفين وهو يتقدم خطوة :

– الآن وفي هذا المكان .. هل تعرف من أكون ؟

– لا أعرف .. ولا يهمني أن أعرف .

– لا أظنك تتذكر امرأة تدعى "**إليزابيث موسنار**" .. هي إحدى ضحاياك .. ولو قرأت كلمة "**موسنار**" معكوسة لكانت "**رانسوم**" .. إن "**موسنار**" هو اسمي الحقيقي وتلك الفتاة المنكودة شقيقتي ، والله يغفر لي إذ كنت منصرفا عنها متفرغا لبناء مستقبلي الفني ! .

ورفع يده إلى جبينه في أسى ظاهر ، و"**بولاي**" يتطلع إليه مبهورا ، وإن لم تفارق الابتسامة شفتيه .. وأخيرا استطرد "**بروس**" قائلا :

– عندما أرسلت إلي مسرحيتك ، عرفت في الحال شخصيتك .. عرفتها من التفصيلات الخاصة بالجريمة الثانية .. جريمة قتل شقيقتي .

– آه ! ..

– ولهذا قررت اقتناصك .. وكانت فكرتي الأولى هي الحضور إلى هنا للبحث والتحري .. ولكن زميلتي "**بيريل وست**" أوحت إلي بفكرة أفضل ، وهي أن أنتحل شخصيتك وأضطرك إلى الكشف عن نفسك ..

فقال "**بولاي**" بأتم هدوء :

– وهو ما لم تنجح فيه .. لا أنت ولا البوليس .

– أيها المغرور ! .. ألم تعرف أن السيد "**هنري مريفال**" حدد شخصيتك

منذ البداية ؟ . . لقد سألني مرة . كما سأل غيري : ماذا يفعل "**بولاي**" بعد أن كف عن قتل النساء منذ أحد عشر عاما ؟ . . إنني لم أفهم هذا السؤال وقتها . ولكني أفهمه الآن جيدا ، بعد أن شرح لي الموقف كله في الليلة الماضية .

إنك بعد أن شبعت من قتل النساء وأخذ البوليس في البحث عنك ، تبينت أخيرا، وبعد خوفك من الماضي أنه لا لزوم لقتل امرأة ما للحصول على مالها، لأن أية امرأة تقدم لك مالها طائعة مختارة لو عرفت السبيل إليها . وهكذا غيرت خطتك . واتجهت إلى البحث عن الزواج الذي يدر عليك المال الوفير . فكان زواجك بالسيدة "**هربرت**" الأرملة الغنية ذات الضياع والأراضي الواسعة . .

وكانت الغلطة التي ارتكبتها ، والتي بدأت تثير الشبهات حول حقيقتك ليلة وصول السيد "**هنري مريفال**" إلى "**أولد بريدج**" في بار "الأوزة الذهبية" قال "**تشيترنج**" الثرثار تلك الليلة إنه قرأ في الصحف نبأ قيام "**بروس رانسوم**" بتمثيل مسرحية عن "**بولاي**" . . وعندها قلت أنت بالحرف الواحد . . "لا يمكن أن يمثل المسرحية إذا لم تكن نسختها عنده " . وبإمكاني أن أشهد ، أنا و"**دنيس فوستر**" ، أن سرقة أصل هذه المسرحية من مكتب النسخ كانت سرا أقسم الجميع أن يحافظوا عليه ولكن "**بولاي**" كان يعلم بوجود أصل المسرحية في مكتب النسخ لأني كتبت إلى المؤلف باحتمال إجراء تعديلات في المسرحية، وأني أرسلت الأصل إلى مكتب "**إثيل ويتمان**" لنسخ عدة صور منها . .

وقد فزع "**بولاي**" عندما عرف هذه الحقيقة ، وسطا على مكتب النسخ ، وظن أنه ظفر بأصل المسرحية كله ، في حين . . .

وأخذ كلاهما يتقدم في هدوء ، وكان ضوء المصباح يلقي ظلاله متراقصة مشوهة على الجدران ، بينما استطرد "**بروس**" يقول :

– إني لم أعرف هذه الحقائق وقتها . . وقد فاتني أن أعرف الكثير وأنا هنا

منبوذ من الجميع بسبب الدور الذي كنت أمثله .. بل لم أعرف وقتها ، مثلا ، أن "**دافني**" ليست ابنتك الحقيقية . وإنما هي ابنة السيدة "**هربرت**" من زوجها السابق..

وهكذا جعلت أروض نفسي على الصبر ، وطأطأت رأسي لك ، حتى حين لطمتني على وجهي في تلك المناسبة ..

– لقد كانت مناسبة سعيدة مبهجة لي ..

– لا بأس .. والطريف في الموضوع أني في الوقت الذي كنت فيه أحاول الإيقاع بك كان الناس يظنون أنك تعمل على الإيقاع بي ..

– ذلك أن عندي المقدرة على توجيه الأمور إلى الوجه الذي يحلو لي ..

– وهل كانت عندك هذه المقدرة عندما سرقت "**دافني**" – مثلا – آلتك الكاتبة الصغيرة وأعارتها لي ، كما أخبرت أصدقائي بذلك في الليلة الماضية ؟ وهل عرفت أن نفس الآلة الكاتبة التي كتبت عليها المسرحية ظلت في غرفتي طول الوقت ؟ ..

فلم يبدر جواب من "**بولاي**" .. فأردف "**بروس**" يقول :

– وهل كان من مظاهر مقدرتك وتدبيرك أن تقع "**دافني**" في حبي؟ .

وكان لهذا الكلام تأثيره في تصلب ملامح الرجل وزوال الابتسامة من وجهه ، بينما استطرد "**بروس**" يقول :

– في الواقع إني لم أفهم أول الأمر لماذا كنت تهتم بـ"**دافني**" أكثر من الاهتمام الأبوي العادي ، ولماذا أحدث ظهوري تأثيرا سيئا عندك .. إنك تزوجت والدة "**دافني**" منذ عشرة أعوام ورأيت الفتاة تشب وتترعرع حتى صارت إلى ما هي عليه الآن والحقيقة أنك تشتهيها لنفسك .. ولم تستطع أن تتخلص من طباعك القديمة.. لكنك لا تستطيع أن تمسها ، وإلا عرضت حياتك المترفة الموسرة إلى الضياع . أما الواقع فأنت تشتهيها بكل ما في هذه الكلمة من معنى! .. ولو ظفرت

بها لما ترددت بعد ذلك في قتلها ، كما فعلت مع "**أندريه كوبر**" . .

– صدقت في هذا التصوير .

قال "**بولاي**" هذا ومد يده إلى جيبه الخلفي ولما أخرجها كانت بها مطواة كبيرة ضغط على زر بها ، فانفتح نصلها حادا وقال على الأثر :

– ما رأيك في تصفية حسابنا ؟ . .

– تقدم ! . .

– ألا تمانع في المطواة ؟ .

– تقدم حالا ! . .

قالها "**بروس**" وهو يضطرم غضبا . فأخذ "**بولاي**" يتقدم إلى ناحيته ببطء ، وفي أتم حذر ، حتى لم يتمالك "**دنيس**" أن وثب إلى الأمام لإنقاذ صديقه ، لولا أن طوقه السيد "**هنري**" بساعده ليمنعه من الحركة ، كما تعلقت "**بيريل**" بذراعه من الناحية الأخرى . . وفي خلال ذلك سمعوا صوت "**بولاي**" يقول :

– مازال أمامنا بعض الوقت قبل تصفية الحساب . . استمر في حديثك ، فإنه يروقني أن أسمع رأيك في القضية كلها . .

– حسنا . . لقد عرفت من أول الأمر أني "**بروس رانسوم**" وقدرت أني جئت لاقتناص "**بولاي**" . . لكنك لم تشعر بالخطر الحقيقي من ناحيتي إلا في الليلة الماضية ، عندما جاءتني "**دافني**" في غرفتي بالفندق ، عقب عودتكم من "**لندن**" ، ولحقت أنت بها في سيارتها . لقد قيل لك في هذه المناسبة إن انتحالي شخصية "**بولاي**" ما هو إلا تمثيل واطمأننت إلى أني لا أرتاب في حقيقتك . . وبلغ من ارتياحك وطمأنينتك أنك ناولتني لكمة على وجهي . . لكن لم تمض لحظات حتى تغير كل شيء ، بعد أن رأيت آلتك الكاتبة عندي ، ولمحت درج مكتبي مفتوحا وفيه صفحات من نسخة المسرحية الأصلية والواقع أن

هذا المشهد جعلك تجمد في مكانك ، إلى حد أن "**دافني**" كلمتك مرتين قبل أن تفيق من الصدمة . .

– يا لقوة ملاحظتك ! . .

– الحقيقة أني لم أفطن إلى دلالة الأمر إلا بعد أن نبهني السيد "**هنري**" . . فإني لم أكن كتبت شيئا على تلك الآلة حتى ذلك الوقت . . ولكن الأمر لم يكلفني بعد ذلك سوى كتابة بضعة أسطر على تلك الآلة ، وبمقارنتها بالصفحات التي في الدرج، اتضح لي بما لا يقبل الشك من هو مؤلف المسرحية . .

إن هذا الاكتشاف الخطير الذي تجلى لك ولي قد ملأ نفسك غما . . . لكنك كنت مغموما بما فيه الكفاية . . ففي طريقك إلى فندق "**ليذربوت**" للحاق بابنتك، قتلت "**ملدريد ليونز**" !. .

– احترس !!! . .

انبعث هذا التحذير مدويا من أحد الحاضرين . . وفي نفس اللحظة تنبه "**بروس**" في الوقت الذي انقض عليه "**بولاي**" !

كانت طعنة نجلاء من المطواة الكبيرة الحادة تلك التي سددها "**بولاي**" إلى "**بروس**" فجأة ، ولولا أنه حاد عنها في آخر لحظة لمزقت أحشاءه . . ولكن ملابسه لم تنج منها .

وفي نفس اللحظة وجه "**بروس**" بيسراه لكمة عنيفة إلى خصمه أصابته بين عينيه وجعلته يترنح . .

تراجع كلاهما وهو يلهث . وضحك "**بولاي**" وقال لغريمه :

– كنت تقول شيئا عن "**ملدريد ليونز**" !

– هذه هي جثة "**ملدريد ليونز**" . . إنها كانت أداة بين يديك . . وقد قتلتها. والبوليس يعرف كل شيء عن تلك الجريمة المفتعلة في (**توركاي**) .

فجمد "**بولاي**" مكانه قائلا :

هذا كذب !

– أحقا ؟ إذن كيف تسنى لي أن أعرف كل هذا ؟

– إن "**ملدريد ليونز**" ..

– إنها قرأت المسرحية أيضا .. وقد زارتني في مسرح غرناطة واعترفت بأنها تعرفك .. وأمس جاءت إلى هنا لمقابلتي والتعرف عليك ، وكان مجيئها في نفس القطار الذي أقل "**دنيس فوستر**" و"**بيريل وست**" .. لكنها تخلفت في محطة "**سيكريست**" لكيلا لا يراها أحد .

"ولكن حدث أن صديقيَّ قابلا في طريقهما إلى هنا السيد "**هنري مريفال**" والمفتش "**ماسترز**" ومدرب الجولف "**ماكفرجوس**" ووقفوا يتحدثون طويلا ، وكان وقوفهم في طريق "**ملدريد**" ، مما اضطرها إلى سلوك طريق آخر يمر بملعب الجولف لكي يتسنى لها الوصول إلى فندق "**ليذربوت**" دون أن يراها أحد .. وفي خلال ذلك ركبت أنت سيارة "**دافني**" ، باعترافك ، للحاق بابنتك عند حضورها إلي ، فشاهدت "**ملدريد**" تجتاز ملعب الجولف .. وكان الوقت مساء وأنتما وحدكما في تلك المنطقة .. فنزلت من السيارة وكمنت لها وفاجأتها .. لكن أين ؟

الواقع أني أخطأت عندما ظننت أول الأمر أنك فاجأتها عند الشاطئ .. فالشاطئ منطقة ذات حصى ورمال خشنة وهذه الرمال تختلف عن الرمل الأبيض الناعم الذي وجدته على وجهها ، كما ظهر في منديلي عندما مسحت به وجه الجثة .. وأين يوجد هذا الرمل الأبيض الناعم ؟ .. إنه يوجد في كثبان الرمل التي يتكون منها امتداد ملعب الجولف .

وبعد ذلك وضعت الجثة في مقعد السيارة الخلفي وذهبت بها إلى فندق

"**ليذربوت**" ، وهناك دسست الجثة علي أنا من دون الناس جميعا .. فإنني كنت أسبح في البحر ، وكنت تستطيع أن تراني من الشاطئ .. لكنك ارتكبت غلطة جسيمة .

– غلطة جسيمة ؟

– كان وجه الجثة مكسوا بالرمل المبلل ، ولكني مسحته بمنديلي . وبوسعي أن أقسم ، أنا وزميلي "**دنيس**" أن وجه القتيلة كان نظيفا تماما عندما وضعنا الجثة في نفس السيارة التي جاءت بها إلى الفندق .. وقد لاحظت ، كما لاحظ "**دنيس**" وقرر ذلك العجوز فيما بعد ، وجود طبقة من الرمل على جلد المقعد الأحمر في السيارة في موضع خد "**ملدريد**" وجبينها حيث وضعت الجثة .. ولا يمكن أن ينطبع هذا الأثر عندما وضعنا نحن الجثة في السيارة .. وإنما انطبع عندما قصدت أنت بالسيارة إلى الفندق والجثة بداخلها " .

وفي هذه اللحظة لمح "**دنيس**" بزاوية عينه "**دافني**" تتحرك في مكانها على الأرض الموحلة وتحاول النهوض دون أن يفطن إليها الغريمان .. وما لبث "**بروس**" أن قال لعدوه :

– إنك قتلتهن جميعا .. أليس كذلك ؟.

– قتلت من ؟

– شقيقتي .. وباقي الضحايا .. أم أنك خائف من الاعتراف بهذا ؟ .

– خائف منك ؟ ! نعم .. إني قتلتهن .. وما قيمة هذا الاعتراف ؟ لن تستطيعوا إثبات شيء ، لأنكم لا تعرفون ماذا فعلت بالجثث .

فصاح "**بروس**" :

– أحقا .. أنت مخطئ .. إن الجثث أخفيت في ....

ولم يتم "**بروس**" كلامه ، لأنه ألقى على وجه "**بولاي**" الشال الذي كان على

رأس الجثة المعلقة ، وكان يخفيه خلف ظهره ولكن السفاح حاد عن طريق الشال، وسدد بالمطواة ضربة عنيفة إلى جنب "**بروس**" الذي أفسدها بلكمة بارعة من يده أصابت "**بولاي**" في ذراعه وأطاشت الطعنة .

وعند هذا الحد تقدم السيد "**هنري مريفال**" إلى داخل الغرفة بعد أن أشار إلى "**دنيس**" أن يتبعه ، وقال موجها حديثه إلى "**بولاي**" :

– كفى يا بني . دع هذه المطواة جانبا ، وإلا هجمنا عليك جميعا . .

فاحتج "**رانسوم**" قائلا إنه لابد له من تسوية حسابه مع غريمه دون تدخل أحد . وفي هذه اللحظة حانت من "**بولاي**" التفاتة إلى ناحية "**دافني**" ورآها واقفة مستندة إلى الجدار ، فقال لها في رقة :

– آه يا عزيزتي ! . سنترك هذا المكان ونذهب إلى أماكن أخرى ننعم فيها بالسعادة . ستأتين معي بالتأكيد .

وهنا هتف "**بروس**" قائلا :

– تأتي معك ! كيف تفعل شيئا كهذا ، وهي التي اشتركت في إعداد هذا الشرك الذي نصبه البوليس لك .

وهنا صاح السيد "**هنري**" قائلا :

– صه !

لكن الضرر كان قد وقع فعلا . . إذ هتف "**بولاي**" :

– ماذا تقول ؟

فقال "**بروس**" وقد أعماه الغضب عن كل شيء :

– اسمع يا هذا . . إن "**دافني**" قد اشتركت معي اشتراكاً فعليا كاملا في إعداد هذه الخطة . ولم تكن تلك الرسالة التي بعثت بها إليك تخبرك بهروبها معي إلا جزءاً من الخطة التي دبرت لاستدراجك إلى هنا . . هل فهمت الآن؟

– فهمت . .

ولم نصل المطواة لآخر مرة . فإنه لم يكد يتم كلمته حتى امتدت ذراع من مدخل الغرفة الثانية خلفه وأطبقت على عنقه . . وامتدت يد أخرى خبيرة تلوي معصمه خلف ظهره حتى انبعثت منه صرخة ألم وسقطت المطواة من يده على الأرض . .

جذبه إلى الخلف اثنان من رجال البوليس . وظهر في أثرهما المفتش "**ماسترز**" مع ضابط بوليس بالزي الرسمي . وقال المفتش وهو يتحاشى النظر إلى العجوز :

– أخشى أن نكون تأخرنا قليلا . . .

فقال العجوز بلهجة لاذعة :

– بل جئت مبكراً قبل الأوان ! .

فلم يتمالك المفتش أن صاح قائلا :

– كفى تأنيباً يا سيدي ! . . . لقد تأخرنا بسبب العاصفة وكثرة الوحل في الطريق ! . . . . وبهذه المناسبة أخبرك أننا تلقينا إشارة تليفونية من ضاحية "**كروبورو**" . .

– "**كروبورو**" . . تعنى بخصوص "**أنجيلا فيبس**" ، أولى الضحايا . .

– نعم يا سيدي . . وسيعهد إلى الطبيب الشرعي بفحص ماتبقى من الجثة.

– هل وجدت في المكان الذي أخبرتكم عنه ؟ . .

– نعم . .

فتنفس العجوز الصعداء وشاعت في محياه ابتسامة ماكرة . . ثم أمسك بساعد "**دنيس**" وقال له برقة :

– هل تذكر يا بني عندما كنا في غرفة "**بروس**" بعد ظهر اليوم ، أين كان (روب) "**بروس**" موضوعا ؟ . .

– أين كان موضوعا ؟ . . إنه كان ملقى فوق المقعد الصغير ، حيث ألقاه

"**بروس**" ! . .

– وهل تذكر أنه كان يبرز من جيب (الروب) شيء واضح يتأتى للناظر أن يراه بسهولة ؟

فسبقته "**بيريل**" إلى الجواب ، إذ هتفت قائلة :

– المنديل ! . . منديل "**بروس**" ! . . كان ملوثا برمل ناعم أبيض ! .

فأومأ العجوز برأسه . . وتنفس من أعماقه مرة أخرى . . ثم راح يقول :

– هذا صحيح . . إن "**ماكفرجوس**" كان قد فرغ لتوه من محاضرة طويلة قال فيها إنه لايوجد مكان محتمل يمكن فيه إخفاء جثة في أرض ملعب جولف دون أن تتخلف آثار تدل على حدوث حفر أو تنقيب أو دوس بالأقدام . .

والواقع أن كلمة "دوس بالأقدام" كانت هي الحاسمة . لأن مثل هذا المكان موجود فعلا . .

ذلك أنه يمكن دفن جثة في الأرض على مساحة 120 سم تقريبا تحت طبقة الرمل السميكة في كثبان الرمل التي يتكون منها امتداد ملعب الجولف . . وبوسع آلاف من لاعبي الجولف أن يدوسوا طبقة الرمل هذه مرارا وتكرارا دون أن يكتشفوا أن عبثا ما قد وقع في طبقة الرمل السطحية . . . وهكذا لا يعرف أحد أن جثة ما قد أخفيت تحت هذه الطبقة بعد الدوس المستمر عليها . . .

الخاتمة

صفت السماء بعد هدوء العاصفة ، وتخلف ثلاثة أشخاص في الغرفة الأرضية بمبنى التدريب العسكري السابق ، وقد شغلوا بأفكارهم الخاصة ، قبل العودة إلى الفندق ....

كان "**بروس**" و**دنيس**" ساهمين واجمين .. أما "**بيريل**" فكانت مرحة منتعشة.. ولم تلبث أن قالت لـ"**بروس**" :

– يا لك من أحمق يا "**بروس**" ! .. لقد كان يمكن أن تلقى حتفك في هذه الملحمة المروعة ! ..

– صدقت يا "**بيريل**" .. أنا معك في هذا .. هل يمكن أن أستأذنك في قبلة احتفاء بالنجاة ؟ ..

وعند ذلك رأى " **دنيس**" أن ينسحب مجاملة وتقديراً للموقف ، فصاح به "**بروس**" يستوقفه ، وأردف قائلا :

– وعلى فكرة .. أظنك لم تفهم السبب الذي دعاني إلى نقل تلك الجثة في الليلة الماضية والعمل على إخفائها ؟

– هذا صحيح ! .. وعسى أن توضح لي الأمر .

– أنا في شدة الأسف والخجل من سلوكي حيالك في تلك المناسبة .. لكني سأصارحكما الآن بكل شيء لتفهما الموقف على حقيقته ، بعد أن جدت فيه عوامل لم تكن منتظرة ..

الواقع أني كنت في غاية الاضطراب ، ولم أكن حتى ذلك الحين على علم بمن هو "**بولاي**" .. وقد صممت أن أبرهن لـ"**دافني**" ووالدها – والدها ، تصوروا ! – أن بإمكاني اقتناص "**بولاي**" الحقيقي ، وذلك بعد أن فشلت خطتي الأولى ،

وتعين علي الكشف عن شخصية "**بولاي**" في مدى أربع وعشرين ساعة .. ولم يكن هذا ممكنا إلا بحيلة أقوم بها .. وهكذا فكرت في سرقة سيارة "**دافني**" بمساعدة "**دنيس**" والمجيء بها إلى هنا .. وكان من شأن هذه الخطة أن ينتشر خبر سرقة السيارة ، وأننا ذهبنا بها في اتجاه مبنى التدريب العسكري السابق.. أما تعليل ذلك فلن يفهمه سوى القاتل ..

"ذلك أن القاتل قد ورطني بوضع الجثة في غرفتي .. وسينزعج إذا لم يكتشف وجود الجثة عندي ، ويحاول أن يعرف ماذا فعلت بها .. إن المنطقة مترامية ، ولكن فيها مبنى التدريب العسكري السابق ، ولن يخطر ببال أحد ، سوى القاتل ، أن يربط بين الجثة وبين تمثال آدمي معلق للتدريب ، أو أن يفطن إلى وجود جثة حتى ولو كان يبحث عنها .. ولكن القاتل يجيء إلى هنا رأسا .. وأكون أنا في انتظاره .

ولما وجدت أن "**دنيس**" فوجئ واضطر إلى الابتعاد عن السيارة بعد أن استدعاه الكابتن "**رينويك**" إلى داخل الفندق ، لم يكن أمامي سوى الهرب بالسيارة وحدي .. ولكني ارتكبت غلطة غير هينة بذهابي إلى مثل هذا المكان والانتظار مدة غير محدودة دون أن يكون معي طعام أو سجائر ..

وهكذا اضطررت إلى أن أعود إلى الفندق سيراً على قدمي هذه المرة وتصادف أن كان في الفندق حفلة ساهرة ، فلم يفطن إلي أحد عندما تسللت إلى غرفتي عن طريق السلم الخارجي ، فوجدتها في شر حال من الفوضى ..

وهنا أومأ "**دنيس**" برأسه وتولى الإيضاح قائلاً :

– إن "**جوناثان هربرت**" – ولنطلق عليه هذا الاسم – أدرك أنه لابد له من التخلص من صفحات نسخة المسرحية الأصلية التي كانت في درج مكتبك ، ومن آلته الكاتبة الموجودة لديك أيضا .. لم يكن بوسعه استرداد الآلة الكاتبة، وإلا لفت إليه الأنظار .. وهكذا حطمها عن آخرها لإخفاء حقيقة غرضه ...

فقال "**بروس**" وهو يضغط على رأسه بيديه استجماعا لأفكاره :

– هل تذكر يا "**دنيس**" تلك الكلمة التي كتبتها لك على الآلة الكاتبة قبيل هربي بالسيارة وقلت لك فيها (آسف لايمكنني الانتظار) وشبكتها في أعلى الآلة لكي تلفت نظرك ؟

– نعم أذكرها جيداً . .

– الحقيقة أني لم ألاحظ شيئا وقتها بسبب شدة انفعالي . . وكانت هذه المناسبة أول مرة استعملت فيها تلك الآلة الكاتبة . . ولكن حينما عدت إلى الغرفة في المرة الأخيرة ، لاحظت بين الأوراق المتناثرة على الأرض بعد تحطيم أثاث الغرفة ، وجود كلمتي المكتوبة على الآلة ، وإلى جانبها صفحة من نسخة المسرحية الأصلية . .

فقالت "**بيريل**" :

– لكن كيف يمكن وجود هذه الصفحة حيث رأيتها ؟ إن "**هربرت**" ، أو "**بولاي**" ، لم يأخذ تلك الصفحات من المسرحية ، لأنها لم تكن موجودة في الغرفة عندما حطم الأثاث . . فإن السيد "**هنري**" أخذها قبل ذلك . . . .

فتولى "**دنيس**" الجواب قائلا :

– إنه لم يأخذها كلها . . ألا تذكرين ما قاله لنا السيد "**هنري**" هذا الصباح . . لقد أخبرنا أن إحدى الصفحات سقطت منه على الأرض سهوا . . ثم إن الهواء بعثر الأوراق على الأرض ، ولما جاء "**هربرت**" ووجد درج المكتب خاليا ظن أن بقية الأوراق المتناثرة كلها رسائل خاصة . . والآن ماذا كنت تقول يا "**بروس**" ؟.

– قلت إنني وجدت الورقتين على الأرض جنبا إلى جنب ولم أكن في حاجة إلى خبرة فنية لكي أكتشف الحقيقة المروعة . . فإني قرأت النسخة الأصلية للمسرحية التي كتبها "**بولاي**" مرارا وتكرارا حتى أصبحت أعرف خصائص

حروف الآلة الكاتبة التي كتبت عليها المسرحية معرفة تامة .. فمثلا حرف الواو يعلو غيره من الحروف بين السطور .. وحرف الألف مطموس بصورة مميزة ، إلى آخر هذه الخصائص البارزة .. وكانت مقارنة بسيطة بين حروف الورقتين كافية لكي أوقن أن المسرحية كتبت على تلك الآلة..

وأصارحكم القول أني لم أصدق وقتها أن "**هربرت**" يمكن أن يكون هو "**بولاي**" .. ولكن الأفكار والصور تزاحمت في ذهني ، وخصوصا مسلكه وتصرفاته حيال "**دافني**" .. وهكذا خرجت من الغرفة حائرا واتصلت تليفونيا بالسيد "**هنري**" في فندق (الأوز الذهبي) في "**أولد بريدج**" .. فطلب إلي أن أوافيه في الفندق حالا ..

وفي غرفة العجوز بالفندق ، وبحضور المفتش "**ماسترز**" ، شرح لي السيد "**هنري**" القصة كاملة ..

صمت "**بروس**" فترة وهو في إعياء ظاهر .. وأخيراً استطرد يقول :

– وفي نفس الغرفة وضعنا ثلاثتنا خطة اقتناص "**جوناثان هربرت**" ..

ولقد استطاع العجوز قبل ذلك بساعات ، حينما كان في غرفتي ، وبحضورك أنت يا "**دنيس**" – استطاع أن يقارن خط الآلة الكاتبة بخط نسخة المسرحية الأصلية .. وقد أخبرته أنت أن "**هربرت**" كان في نفس الغرفة ورأى درج المكتب مفتوحا وبه بعض صفحات تلك النسخة .. فأدرك السيد "**هنري**" على الفور حقيقة هذا المخلوق ، وأيقن أنه سفاح خطير له مآرب حول "**دافني**" ..

ومما له دلالته القوية في هذا الصدد أن "**تشيترنج**" الثرثار قرر أن "**هربرت**" قد استعار منه كتاب (فن تأليف المسرحيات) ..

وهكذا كان لابد من العمل على الفور .. وقد أعربت عن استعدادي لاستدراج "**هربرت**" وحثه على فضح حقيقة شخصيته بنفسه .. ولكن هذا

كـان يـقـتـضـي اتـخـاذ "**دافني**" بمثـابة طعم .. وكـان ذلك أشق جـزء في الخطة كلها.. ولهذا السبب تسلقت نافذة غرفة "**دافني**" في صميم الليل ...

والواقع أني أشـفـقت أن تصـرخ "**دافني**" من المفـاجـأة وتجـمع نزلاء الفندق حولنا!.. لكنني استطعت إقناعها بارتداء ملابسها والتسلل من الباب الخلفي لمقابلة المفتش "**ماسترز**" والسيد "**هنري**" ...

أخلد "**بروس**" إلى الصمت مرة أخرى .. وبعد برهة قال :

لم يبق بعد ذلك ما يقال ، سوى أن "**بيريل**" كادت تفسد علينا الخطة ...

– أنا .. وكيف ذلك ؟ ..

– عندما حاولت إرسال "**هربرت**" إلى " **لندن**" في أثري بسبب موعد الإذاعة الذي كنت مرتبطا به .. ولاشك أنه لم يكن ينوي أبداً أن يصحب زوجته معه في تلك الرحلة ..

ومن حسن الحظ أنه لم توجد قطارات إلى "**لندن**" قبل الساعة الثالثة بعد الظهر.

والواقع أننا تركنا له فـسـحـة من الوقت لكي يزيد اضطرابه ويتـخـبط في تصرفاته.. وقد التقى به "**باركس**" مفتش البوليس المحلي في الشارع ، بإيعاز منا، وبينهما معرفة وطيدة ، واختصه بسر خطير مؤداه أن البوليس قد نمى إلى علمـه أني أخـفـيت جـثـة امـرأة في هذا المنزل ، وأنني مـخـتـبئ في المنزل مع "**دافني**" ، لكي نهرب نهائيا عند حلول الظلام .. واختتم "**باركس**" معلوماته السرية الخطيرة قائلا إن رجال البوليس سيداهمون المنزل قبيل هذا الموعد .

وكان من المحقق ، بعد هذه البيانات الأكيدة ، أن يسبق "**بولاي**" البوليس في الحضور إلى هنا .. وقد اتفقنا على أن نكمن أنا و"**دافني**" في نقطة معينة في الطريق قرب المنزل نراقب منها حضوره ، ومتى رأيناه قادما كان علينا أن نتسلل إلى داخل هذا المنزل عن طريق سلم (البـدروم) الخـارجي ، ثم نعطي الإشـارة

المتفق عليها وهي أن ندق سقف مخزن الفحم في (البدروم) بيد مكنسة دقتين متواليتين ، ثم نقوم نحن الاثنين بتمثيلية صغيرة ذرا للرماد في عينيه . .

واستوى "**بروس**" قائما وقال :

– الحقيقة أنه لم يكن بوسعنا أن نشرككما في هذه الخطة بسبب شدة انفعالكما ، وإلا استهدفنا للفشل الذريع . .

اسمعي يا "**بيريل**" : الواقع أني عندما تسلقت إلى نافذة غرفتك قبل طلوع النهار . .

فقاطعته "**بيريل**" وهي تتقدم نحوه مادة يديها :

– إن مافات أصبح لايهمني في شيء ! .

ثم التفتت إلى "**دنيس**" قائلة :

– إلى أين أنت ذاهب يا "**دنيس**" ؟

– إلى السيارات التي تنتظر في الخارج . سأراكما فيما بعد . .

فقالت "**بيريل**" وقد لمعت عيناها بصورة غريبة :

– أين "**دافني**" . . ؟

– إنها ذهبت مع العجوز . . لقد كانت الصدمة شديدة على أعصابها ولاشك . . سأراكما فيما بعد .

وخرج دون أن يرد على نداء "**بيريل**" وقد انتابه ألم نفسي عندما فكر في أنه سيعود غدا إلى استئناف حياة العزلة بعد أن ضنت عليه الطبيعة بالقدرة على استهواء فتاة معينة مثلما كان حظ "**بروس**" مع فتاته "**بيريل**" . .

على أنه لم يكد يسير بضع خطوات خارج المنزل حتى سمع من يناديه ، وإذا "**دافني**" تسير بجانبه وعيناها تنظران إلى الأرض .

والحق أن "**دنيس**" بذل جهدا خارقا حتى لا ينتفض من تأثير المفاجأة التي جعلت

قلبه يثب بين جنبيه .. وسار بجانبها وهو ينظر أمامه .. فقالت "**دافني**" :

– إنني لم أحزن بعد أن قبضوا عليه ، كما ترى .

– نعم .. هذا واضح .

– أصارحك أني تلقيت ماحدث بارتياح . والحقيقة أني كنت دائما متوجسة منه ، وإن لم أكن أعرف السبب .. فكانت هذه النتيجة باعثة على ارتياحي ..

وسارا برهة صامتين .. وأخيراً قالت "**دافني**" وهي لاتزال تنظر إلى الأرض : – إن السيد "**هنري**" طلب إلي أن أقول لك هذا ، لكي تعرف شعوري على حقيقته ... إنه ينتظرنا هناك .. في السيارة .. لكي يوصلنا نحن الاثنين .. إنه ..

لكن "**دنيس**" لم ينتظر كلاما آخر ، بل طوقها بساعده وشرع يصب في سمعها تلك الأحاسيس الفوارة التي كتمها في صدره زمنا ليس باليسير ..



الخدعة

- 1 -

دقت السيدة " **تروتر** " الجرس خمس مرات قبل أن تفتح ابنتها "**شارون**" الباب . .

وكانت " **شارون**" ترتدي قميصا رقيقا تزينه نجوم شفافة وقد تدلى شعرها الأشقر الجميل على جبينها وكتفيها بغير نظام فبدت كإحدى نجمات السينما .

ولأول مرة في حياتها تمنت السيدة " **تروتر**" لو أن ابنتها لم تكن بذلك الجمال وهتفت " **شارون** " في دهشة :

– يا إلهي يا أماه ! . . هل تعرفين كم الساعة الآن ؟

– الساعة الآن الثامنة . أو الثامنة والنصف . إن ساعتي قد توقفت .

– ألا تعلمين أنني لم أذهب بعد إلى فراشي ؟ لماذا بكرت بالحضور يا أماه ؟

فسألتها السيدة " **تروتر** " بعد تردد قصير :

– هل أنت هنا وحدك ؟

– بالتأكيد . ولكني لم أنم بعد ، وأكاد أسقط إعياء وتعبا .

ولابد أنها خجلت من نفسها للخشونة التي استقبلت بها أمها ، لأنها لم تلبث أن قالت وهي تفسح لأمها الطريق :

– ادخلي .

– شكرا لك .

كان صوت الأم ينم عن الكبرياء ، فمرت بابنتها ووقفت بباب قاعة الاستقبال كأنها تنتظر حتى تأذن لها ابنتها بالدخول . فقالت " **شارون** " في ضجر :

– ادخلي .

وأجالت السيدة "**تروتر** " البصر حولها . .

كان كل شيء في الغرفة ينم عن الثراء وسعة العيش ....

قالت الفتاة :

– اجلسي . يا أماه ، وسأعد لك قدحا من القهوة . هل تناولت طعام الفطور؟

– نعم ، تناولت فطوري منذ ساعة .

ولمحت الأم بقايا سيجار فخم على صحفة فوق المائدة ، فأشاحت بوجهها بسرعة وفتحت حقيبتها .. وراحت تبحث فيها وهي تقول :

– لقد جاءتك رسالة من الدكتور " **سولنز** " تتضمن قائمة حساب .. لا شك أنك لم تذكري له عنوانك الجديد .

ولم تتمالك الفتاة نفسها من الشعور بالشفقة حين رأت أمها تضع الرسالة على المائدة في استحياء . فاقتربت منها وقالت :

– تبدو عليك دلائل التعب والإعياء يا أماه .. هل تتناولين الدواء بانتظام ؟

– إنني في خير حال ، كل ما هنالك أنني جئت بالحافلة وكانت مزدحمة .

– لماذا لم تركبي إحدى سيارات الأجرة ؟

فلم تجب الأم ، وهزت " **شارون** " كتفيها ومضت إلى مطبخها الصغير الأنيق حيث غابت بضع دقائق وعادت بعد ذلك بصحفة عليها قدحان صبت فيهما القهوة ثم قالت :

– دعينا نتحدث بصراحة يا أماه .. ماذا وراءك ؟

– لا شيء يا ابنتي .. لا شيء البتة ، كان لابد لي من الخروج اليوم لشراء حذاء . ورأيت أن الفرصة سانحة لزيارتك . لقد مضى شهر منذ رأيتك آخر مرة. ألا تذكرين ؟

فقطبت " **شارون** " حاجبيها وأجابت :

– الحق أنني شغلت عنك .

ثم رفعت بأناملها خصلة شعر تدلت على جبينها وأردفت قائلة :

– هل تسلمت (الشيك) الذي بعثت به إليك ؟

– نعم تسلمته . وقد جئت اليوم لأحدثك بشأنه .

وفتحت حقيبتها مرة أخرى ، وأخرجت منها ورقة صفراء مطوية وقالت :

– إنني لن أقبل منك شيكات أخرى يا " **شارون** " .. إليك الشيك الذي بعثت به إلي .

فحملقت الفتاة إلى وجه أمها وقالت ببرود :

– لماذا ؟

– لأنني لست في حاجة إليه ، بحسبي الإيراد الذي تركه أبوك .. إنه قليل ولكن فيه الكفاية . ولا حاجة لي بالكماليات .

ووضعت الشيك على المائدة بجانب فاتورة طبيب الأسنان .فقالت "**شارون**" :

– هل ذلك بسبب " **هنري** " ؟

– من قال لك شيئا عن " **هنري** " ؟ إن " **هنري** " من شؤونك الخاصة ، ولا شأن لي به .

– أصغي إلي يا أماه .. لا ضرورة للف والدوران . إنني أقرأ ما يدور بخلدك كما أقرأ في كتاب مفتوح . إنك لا تريدين هذه النقود لأن " **هنري** " أعطانيها .. أليس كذلك ؟ .

فقالت الأم بإيجاز :

– إنني لا أريدها وكفى .

فغطت " **شارون** " ركبتها العارية بغلالتها وأخرجت من جيبها علبة سجائر تناولت منها سيجارة أشعلتها بأصابع مرتجفة ثم قالت :

- إنك لا تفهمين موقفي من " **هنري** " يا أماه . بل إنك لا تريدين أن تفهمي . . والموضوع كله يبدو في نظرك فاضحا ومنافيا للأخلاق الكريمة . فليس " **هنري** " في نظرك إلا رجلا شريرا ، وما أنا في نظرك إلا . . . .

ولاحظت الفتاة من وجه أمها واهتزاز عضلاته أنها توشك أن تبكي ، فمدت يدها لترفه عنها . ولكن الأم دفعت يدها بعيدا عنها وهمت بالنهوض ، فصاحت الفتاة :

- صبرا يا أماه . . أرجوك . . إنك لم تتركي لي قط فرصة للتحدث إليك في هذا الموضوع . وكلما هممت بالكلام أشحت عني بوجهك . ومنعتني بحركة من يدك . . إنني أريدك أن تسمعي وجهة نظري . . أتوسل إليك .

- لقد آن لي أن أنصرف .

- إن الحوانيت لم تفتح أبوابها بعد . . أنصتي إلي دقيقة واحدة . .

فعادت الأم إلى الجلوس . وقالت وهي تتجنب النظر إلى وجه ابنتها :

- حسنا . . هأنذا مصغية .

وارتبكت الفتاة لحظة ، ولم تعرف كيف تبدأ الحديث . وأخيرا قالت :

- إنني أحب " **هنري** " يا أماه . وهو يحبني ، وهذا هو المهم . وقد كدنا نتزوج منذ ستة أشهر ، لولا تلك المرأة . . زوجته .

وقد نطقت بالكلمة الأخيرة بصوت يقطر حقدا وغيظا ثم مضت تقول :

- إنني أعلم أن هذه العلاقة تتعارض مع جميع المبادئ والقيم التي تعلمتها ونشأت عليها منذ نعومة أظفارك . ولكن موقفك يختلف عن موقفي يا أماه . . لقد كان أبي لك وحدك منذ البداية . . فلم يكن عليك أن تقابليه خلسة من وراء ظهر امرأة أخرى .

فقالت الأم بحدة :

– كلا .. إنني لم أفعل ذلك قط .. لقد قابلت أباك وأحببته وتزوجته وانتهى الأمر . وقبل الزواج كنت أدفع إيجار شقتي .. هل تفهمينني ؟ كنت أعمل وأكدح وأشترى طعامي وثيابي ولم أكلف أباك بنسا واحدا قبل الزواج .

فهتفت الفتاة في يأس وهي تطفئ سيجارتها قبل أن تدخن نصفها :

– لافائدة من الحديث معك .

ثم وقع بصرها على بقية السيجار الفاخر ، فتناولته بسرعة وألقت به في سلة نحاسية بأحد أركان الغرفة وقالت :

– إن لك أفكارا رجعية لا سبيل إلى إقناعك بالعدول عنها .. أصغي إليّ يا أماه .. لو أن " **هنري** " التقطني من أحد المشارب لاختلف الأمر . ولكنه يحبني . وسيقترن بي حينما يحصل على الطلاق .

– ولماذا لا يحصل على الطلاق ؟

– لقد ذكرت لك السبب يا أماه .. إن المصنع مسجل باسم زوجته .. وقد سجله باسمها لأسباب خاصة بعمله وهو يعلم أن هذه المرأة القذرة سوف تجرده من كل شيء قبل أن توافق على الطلاق .

فهزت الأم رأسها في حزن ورددت في استنكار :

المرأة القذرة .. كان لها كبرياء ليس لابنتها الفاتنة قالت الأم :

– هل اتفق لك أن قابلت هذه المرأة ؟

– لا .. وأصارحك أنني لا أرغب في مقابلتها . لقد قال " **هنري** " عنها الشيء الكثير .

– أنا واثقة من أنه فعل ذلك .

فقالت الفتاة وهي تربت على يد أمها :

– أصغي إلي يا أماه .. سوف أدهشك يوما ما حين أدعوك إلى مشاهدة حفل

زفافنا .

وهنا تحركت السيدة " **تروتر** " في مقعدها وهمت بالانصراف .. فهتفت "**شارون**" :

– كلا يا أماه .. لا تذهبي .. ما قولك إذا رافقتك إلى محل بيع الأحذية ؟ سأرتدي ثيابي فورا وأذهب معك .

– لماذا ؟ إنني أستطيع ابتياع حذائي بنفسي .

– أنت تعلمين أنهم يخدعونك دائما يا أماه .. سأذهب معك .. اتفقنا ؟

فهزت الأم كتفيها وقالت :

– لا بأس .. ما دمت تريدين ذلك .

– سأغتسل وأرتدي ثيابي في لحظة .

وانطلقت إلى الحمام وأغلقت بابه على نفسها .

- 2 -

قبعت الأم في مكانها بضع دقائق . ثم مدت يدها إلى المائدة وتناولت إحدى المجلات .

كانت مجلة أزياء حافلة بأحدث المبتكرات الباريسية ومليئة بصور فوتوغرافية لفتيات رشيقات في أوضاع مثيرة . فنحت السيدة " **تروتر** " المجلة جانبا باشمئزاز ، ثم اقتربت من غرفة النوم ، وفتحت بابها قليلا . وسمعت صوت انسياب الماء في الحمام الملحق بالغرفة .. فأغلقت الباب بسرعة . وعادت إلى مقعدها في قاعة الاستقبال .

وما هي إلا لحظة حتى دق جرس التليفون . نظرت السيدة " **تروتر** " إلى التليفون وهمت برفع السماعة ولكنها أمسكت .

واستمر رنين جرس التليفون . فسارت إلى غرفة النوم وفتحت الباب ونادت :

- " **شارون** " ..

وكان انهمار الماء من (الدش) في الحمام يحدث جلبة شديدة فلم تسمع "**شارون**" صوت أمها ولم تجب .

واستمر الجرس يرن بانتظام بطريقة مزعجة . فاقتربت منه الآنسة " **تروتر** " ورفعت السماعة .

وحينئذ سمعت صوتا يهتف :

- أهذه أنت يا " **شارون** " ؟

- من المتحدث ؟

- " **هنري** " بالتأكيد .

كان الصوت عميقا متلهفا .. واستطرد " **هنري** " قائلا بسرعة :

- أصغي إلي ولا تتكلمي . إن الوقت ضيق وليس لدي سوى دقيقة واحدة .. سأقول لك شيئا وبسرعة .. إنها ماتت ..ماتت أمس ..ولكن الأهم من ذلك يا"**شارون**" ، هو ما سأقوله لك .. لقد علم البوليس بأمرنا .. وسيذهبون لاستجوابك في أية لحظة .. لقد قلت لهم إنني قضيت الليلة معك .. هل فهمت؟

فتمتمت السيدة " **تروتر** " بكلام غير مفهوم ، واستطرد " **هنري** " قائلا :

- كوني هادئة ولا تضطربي .. ولا تقولي شيئا أكثر من أنني قضيت الليلة معك .. هل فهمت ؟ هذه ليست الحقيقة ولكن يجب أن تقفي إلى جانبي ، وإلا كان مصيري الإعدام ..

هل سمعتني يا " **شارون** " ؟ متى جاء رجال البوليس فقولي لهم إنني قضيت الليلة معك .

فأحست السيدة " **تروتر** " بغصة في حلقها .. ولم تقل شيئا .. حتى لو أرادت الكلام لما استطاعت .

وأبعدت السماعة عن أذنها .. ونظرت إليها في ذهول وذعر .. كما لو كانت حشرة سامة .

قال المتحدث في لهفة :

– هل تسمعينني يا " **شارون** " ؟

فهمست السيدة " **تروتر** " بصوت خافت كأنه صادر من بعيد :

– نعم .. نعم .

– حسنا إذن .. تذكري ما قلته لك .. وسوف أراك وقتما أستطيع ذلك .. إلى اللقاء أيتها الحبيبة .

ووضعت السيدة " **تروتر** " السماعة ، وشعرت بحاجة إلى الأقراص التي وصفها لها الطبيب لتهدئة أعصابها . فأسرعت إلى حقيبتها . وأفرغت محتوياتها . وتناولت قنينة صغيرة أخذت منها قرصا وضعته في فمها .

ثم قصدت إلى غرفة النوم وفتحت بابها على مصراعيه ، وفي هذه اللحظة خرجت " **شارون** " من الحمام . وسألت :

– هل تأخرت ؟

فأجابت السيدة " **تروتر** " بصوت هادئ على غير العادة :

– لا .. ولكن أسرعي بارتداء ثيابك .

– حسنا .. لماذا لا تستريحين يا أماه ريثما أفرغ من زينتي ؟ .. ادخلي .

فدخلت السيدة " **تروتر** " مخدع ابنتها ، وجلست على حافة فراش وثير .. وأجالت البصر حولها ..

كان أثاث الغرفة آخر صيحة في الأناقة والرفاهية . الستائر والأغطية والطنافس

في لون السماء أو الورد .

جلست " **شارون** " إلى مائدة الزينة وراحت تعقص شعرها وتطلي وجهها ببراعة امرأة ذات خبرة في فن التجميل .

وقالت الأم فجأة :

– "**شارون** " .

ورأت الفتاة في مرآتها وجه أمها الشاحب واستدارت إليها وهتفت في ذعر:

– ماذا بك يا أماه . . هل أنت بخير ؟

– عندما كنت في الحمام ، دق جرس التليفون ، وحاولت أن أدعوك . ولكنك لم تسمعيني . . وخطر لي أن أتلقى المكالمة . . فتناولت السماعة . ولم يترك لي المتحدث فرصة للكلام . . وراح يتحدث بسرعة .

– من هو ؟ " **هنري** " ؟

– نعم . . إنه " **هنري** " . وقد قال إن زوجته ماتت أمس . .

فانبعثت الفتاة واقفة وصاحت :

– ماذا تقولين ؟

وسقطت علبة المساحيق من يدها ، وانتثرت محتوياتها في أرض الغرفة .

واستطردت الأم قائلة :

– قال إن زوجته ماتت أمس . وإن البوليس يعلم بأمركما . . وهو يريدك أن تقولي لرجال البوليس إنه . . .

وخنقتها العبرات . فلم تتم عبارتها ، وانخرطت في البكاء .

هتفت " **شارون** " قائلة :

– تكلمي يا أماه . . أرجوك .

– وا أسفاه عليك يا ابنتي المسكينة . . ولكن الذنب ليس ذنبك . . إنه ذنبه

هو وحده .. إنه سيجرك إلى أعماق الهاوية .. أنا واثقة من ذلك .

– ولكن ماذا قال يا أماه ؟

– إنه قتل زوجته يا " **شارون** " .. ألا تفهمين ؟ إنه قتل زوجته وسوف يورطك معه .

– أرجو أن تتمالكي نفسك يا أماه .. ماذا قال " **هنري** " ؟ وماذا يريدني أن أقول لرجال البوليس ؟

فجففت السيدة " **تروتر** " دموعها وأمسكت بيد ابنتها بإحدى يديها ، بينما راحت يدها الأخرى تطوف بشعر " **شارون** " في حنان حتى استقرت على خصلة من الشعر منسدلة على جبينها . فرفعتها لتكشف عن عيني ابنتها الواسعتين . .

ونظرت الأم في هاتين العينين الساحرتين وكأنما تبحث في أعماقهما عن الابنة الوديعة التي كانت تعرفها فيما مضى ثم قالت بصوت جاف واضح النبرات :

– إنه يريدك أن تقولي لرجال البوليس إنه لم يبت هناك ليلة أمس . هل فهمت؟ لم يبت هناك ليلة أمس .

– سأقول لهم ذلك يا أماه . .

وفي هذه اللحظة سمعت المرأتان طرقات عنيفة على باب الشقة . .

تمّت بعون الله